أنثى بطعم الموت

اسم الكتاب: أنثى بطعم الموت
اسم الكاتبة: ماريانا عريان
تدقيق لغوي: محمود ربيع
تصميم الغلاف: محمد سعد الشحات
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – 2020 م
رقم الإيداع: 2020 /
الترقيم الدولي:

arabiclibrary2017@gmail.com
almaktaba79@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
01030365801 - 01014977934

جميع الحقوق محفوظة
للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

أنثى بطعم الموت

رواية

ماريانا عريان

المكتبة العربية
للنشر والتوزيع
Arabic Library

توضيح هام

دع قلبك يتعاطف مع كل حرف وجد هنا؛ لأن معظمها أشياء حدثَت بالفعل، وتحدث كل يوم مع أشخاصٍ مختلفين.

الإهداء ..

إلى ذلك الرجل الذي كان ولا يزال الصديق الأول في حياتي ..

ضوء الشمس الكاشف لظلمة الطريق ..

الجسر الذي أتخطى من خلاله كل الصعوبات ..

أبي الغالي ،،

أُهديك أولى رواياتي.

هذا الكتاب إلى من تُعاني روحه، وإلى كل من يؤلَم بفعل أو كلمة من أحدهم، إلى من يشعر أنه يدور بساقية وجع تُجدد نفسها مع اختلاف الأشخاص والمواقف..

إلى الآباء والأمهات..

إلى جميع المخلوقات التي لا تزال الرحمة بقلوبهم.

- لا لا.. أنا أكيد مش هعمل كده.
- لا هتعملي كده.. انتي بقالك 25 سنة عايشة في عذاب.
- أيوه بس الهروب مش الحل.
- ولا القُعَاد معاهم الحل، همّا عمرهم ما هيتغيروا حتى لو حاولتي مليون سنة.
- بس...
- مفيش بس، امْشِي في حتة تقدري تخلِّي روحك تعيش.

يدور هذا الحوار كل يوم ولمدة خمسة أعوام؛ فعندما كنتُ صغيرة كانت أحلامي صغيرة؛ مثل أن تشتريَ لي أمي لعبة كما تفعل مع أخي، أو يعانقني أبي كما يفعل الآباء مع الأبناء، فلطالما كنتُ أنظر إلى الآباء وهم يعانقون أطفالهم، لا أعلم كيف يكون شعور حب الآباء للأبناء، ثم كبرتُ، ورغم أنّ أحلامي كبرَت معي إلا أن هنالك أحلامًا من الطفولة لم تنتهِ، وعلى الرغم من حبي لأن أكون مستقلة إلا أنني أريد أن أشعر ولو لمرة واحدة كيف يكون حب الأب لابنته أو أعانقه لمرة واحدة، وأخيرًا كل ما أعلمه أن تحدث تلك الدراما في الأفلام فقط، أنا كأي فتاة تحلم وتتخيل وهي مستيقظة، ولكن لم يفارقني هذا التخيل منذ أن كنت

صغيرة، وهو أنني أعانق أبي ونبكي سويًا على السنين التي أهدرناها في البعد، ثم يُملّس على رأسي ليقول لي إنني ابنته وأنه يحبني، ولكن يبدو أنني سأموت دون أن أحقق هذا المشهد.

1 / 8 / 2015م

"المجروح من عائلته لا يُشفَى أبدًا"

في هذا اليوم قررتُ أن أترك البيت، تحوّلتُ في هذا اليوم من طبيبةٍ إلى هاربةٍ ضعيفةٍ اختارتْ أن تهرب بدلًا من المواجهة، وأعلم جيدًا أنني أخطأتُ، ولكن سأعود وأنا الفتاة التي سوف يتشرّف بها أبوها، وأستطيع أن أعانقه لمرةٍ واحدةٍ.

كانت الساعة حوالي الثالثة صباحًا، أخذتُ ما استطعتُ من نقودٍ وأخذتُ الأشياء التي أحبّها من غرفتي، وصورتي مع أمي، وشالها الذي به رائحتُها؛ لأنني أعلم أنّي لن أتمكّن من رؤيتها لوقتٍ طويلٍ، نزلتُ إلى الطابق الأسفل حتّى أذهب، كنتُ أنظر لكلّ ركنٍ في البيت وأعلم أنني سوف أشتاق لكلّ شيءٍ هنا، وبالتحديد أمّي؛ فدائمًا كانت بجانبي، وحتّى إن كان ظنّي يخيب بـ...

(قاطعتني)

- "شهد!" (يليها نظرة تعجبٍ وتفقُّدٍ لما أحمله) "انتِي رايحة فين؟"
- ششششششش، وطّي صوتك، بابا لو سمعِك هتبقَى مصيبة.
- شهد ماتوجعيش قلبي، طب انتِي هنا مهما عمل فيكِي انتِي معايا، بس لما

تمشي مش هعرف انتِي فين ولا عايشة مع مين ولا بيحصل معاكِي إيه.

(أمسح دموعها)

- ماما، أنا عارفة كويس إن اللي بعمله مش صح، بس قوليلي أعمل إيه؟ أعمل إيه مع أب شايف إنّي نقطة سودا وإني عبء عليه؟ أعمل إيه مع أب كل ما يشوف وشي يقولّي البنات عبء للمات؟ أعمل إيه وهو مش راضي يديني فرصة أثبتله إني زي إخواتي الولاد وأقدر أنجح وما أكونش عبء عليه؟ دا غير إني مش قادرة أعيش وأنا شايفاه كل شوية بيقطّم فيكِي بسبب إنك خلفتيله بنت! ماما قوليلي كده هو بابا حضنّي من ساعة ما اتولدت؟ طب عارفة أنا بحس بإيه لما أشوف حنيته مع إخواتي الولاد وأنا لا؛ لمجرد إني بنت وهو بيكره خلفة البنات؟ سيبيني.. سيبيني أمشي وأوعدك إني هخلي بالي من نفسي، وأوعدك كمان إني هرجع، بس هرجع وأنا حاجة تشرفُّه أنه خلف بنت، أنا أنانية قوي عشان هسيبك لوحدك، بس أنا لو قعدت هنا برضه هسيبك، ماما أنا مسمحاكِي وعارفة إنك مالكيش ذنب في كل اللي كان بيحصل، طب بطّلي عياط والنبي، والله والله ما فيه حاجة هتوحشني في الدنيا غيرك وغير ريحتك اللي كانت بتهوّن عليا كل حاجة.

(وهي تبكي)

- أنا عارفة إنك اتعذبتي وعارفة إني ماعرفتش أكون ليكِي أم كويسة، بس مش بإيدي وانتِي عارفة.

تركتُ أمّي بصعوبةٍ شديدةٍ، يبدو أنني فقدتُ الأمان؛ فلأوّل مرةٍ أشعر أنّ قلبي مُفتّت من شدة الحزن، لا أعلم كيف سأعيش من دونها ومن دون أن أسمع صوتها؟ ولكنني وعدتُها أنني سأكون شيئًا كبيرًا، وسأعود لها لتفتخر بابنتها الجميلة التي طالما كانت تبكي بسبب خلفتها.

*****

(محطة قطار الإسكندرية)

4:00 صباحًا.

دخلتُ إلى شباك حجز التذاكر، وتوقّفت مكاني أنظر حولي؛ فأنا لم آتِ إلى هنا منذ أن كنتُ طفلةً صغيرةً بريئةً لم يُرِدْها أحد؛ فقرّروا إرسالي إلى جدّتي حتى أقيم معها، ولكن بعد سنةٍ من انتقالي إليها تُوفّيَت جدتي وعدتُّ إلى الإسكندرية، أتذكّر أول يومٍ عدتُّ فيه إلى البيت؛ فقال لي أبي:

- خلفة نحس هقول إيه؟ حسبي الله ونعم الوكيل فيكِي، مابتسِيبِيش حد إلاّ أما تكوني جاية أجله زي ما هتجيبي أجلي قريب يا بومة.

لم أستطع نسيان وجهه وصوته وهو يقول لي تلك العبارة، ولكن ها أنا الآن أذهب مجدّدًا، ولكن عندما أعود لن أدع تلك –البومة– تعود مـ...

قاطع شرودي صوت رجلٍ شيخٍ:

- مالك مهمومة ليه؟ ماتخافيش.. ربنا هيريح بالك.

وأنا في دهشةٍ:

- هه؟

ذهب الرجل وغاب عن نظري في الزِّحام، أخذتُ تذكَرتي وأنا أفكر في كلام الشيخ، هل هذه رسالةٌ من الله؟ فأنا أؤمن دائمًا أن الله يرسل لنا رسائلًا بطرقٍ غير مباشرة حتّى ترشدنا.

أكملتُ طريقي إلى القطار، ودخلتُ وجلستُ في مِقعدي أحاول التأقلم على الجو؛ ففعلتُ مثلما أفعل دائمًا، أخرجتُ القلم والمذكرة من حقيبتي، كان رفيق رحلتي هو القلم؛ فلا صديق لديّ سوى الكتابة.

"المجروح من عائلته لا يُشفى أبدًا" هذه أوّل عبارةٍ سأكتبها في بداية رحلتي، وسوف أترك لكم سطورًا لتكتبوا لي إذا مررتُم بجروح الأهل أو لا، وما الذي مررتم به؟ وسأضع -إيميلي- في آخر الرواية؛ فيسرّني أن أكون صديقةً لكلّ من يشعر بالوحدة.

"هذا المكان لكم.. عبروا عمّا بداخلكم"

جروح الأهل تُشبه الجُرح العميق الذي سيُشفى إذا اعتنيتَ به، ولكنه سيترك أثرًا كبيرًا؛ فكلّما نظرتَ له ستتذكر كيف جُرحتَ والألم الذي شعرتَ به وقتها، ولكن سيجعلك تقول الحمد لله أنك كنتَ قادرًا على شفاء جرحك، هذا بالضّبط ما يحدث لنا من جروح الأهل؛ فلقد عانيتُ طوال حياتي من جروح أهلي لي، وأعلم أنني لم أستطع أن أنسى كيف جُرحتُ حتّى بعد أن شُفيت جروحي؛ لأنها موجودة في قلبي

بالفعل، لطالما تمنيتُ أن يعانقني والدي ويكون بجانبي، ولكن كلّ ما كنتُ أتلقاه هو الرفض المباشر لكلّ شيءٍ والإهانة والتفرقة بيني وبين إخوتي، وبخصوص التفرقة في يوم مولدي الرابع عشر قالت لي أمّي: "كل سنة وانتِي طيبة يا شهد"، ولكن سرعان ما نهرها أبي وقال لها:

- احنا ماعندناش بنات بنحتفل بيهم، هو الهمّ بقوا يحتفلوا بيه اليومين دول؟

وكان يوم مولد أخي بعد أسبوعٍ من يوم مولدي وقاموا بالاحتفال به، ربما تكون هذه الأشياء بسيطة بالنسبة لبعض الناس، ولكنها كانت تُفتّت قلبي من الحسرة والألم؛ لأنني كنتُ طفلةً وقتها وكلّ أحلامي كانت بسيطة مثلي تمامًا، ولكن كبرَت أحلامي ورأيتها تتحقّق، ولكن جميعها تحققت لأخي وليس لي، ومن وجهة نظري المتواضعة أن جروح الأهل من المستحيل أن تُشفى، حتّى إن فقدتَّ الذاكرة سوف تتذكّر تلك الجروح المزروعة في قلبك وعقلك! ولكن أتمنى أن أُشفى من تلك الجروح.

"كلّ جيلٍ مشوّه هو نتيجة لأب وأم مشوّهين، احنا ماطلعناش وحشين لنفسنا".

"رسالة الله الثانية"

(أيقظني صوت الأطفال)

- هيه هيه هيه وصلنا مصر.

صوت الأطفال يهلّلون فرحًا بوصولهم للقاهرة، ولكن كان هذا الشعور مُغايرًا لشعوري تمامًا؛ فكلّما اقتربتُ من الوصول كلّما كان قلبي يشعر بانقبضاتٍ وخوفٍ شديدٍ؛ فأنا لا أعلم ماذا سوف يحدث؟

وصلنا إلى محطة مصر، كانت مزدحمةً لدرجة أنك تشعر أنك سوف تفقد نفسك إذا شردتَّ للحظةٍ، ولكنها مليئة بالروح والأجواء المختلفة؛ فيوجد المسافر وعلى وجهه الابتسامة الشغوفة، والمسافر وعلى وجهه الحزن لأنه ترك أحبابه، وحكاياتٌ تدور بين الناس، وبائعون في كلّ مكانٍ ينادون على لقمة عيشهم، كلّ هذه الأشياء ستجعلك تريد أن تخرج من المكان أو تجعلك تشعر أن خطوةً مهمةً قادمةً لحياتك.

كانت الساعة تقريبًا الثامنة صباحًا، خرجتُ إلى الشارع لأرى الشمس ساطعةً على شعري الأسود لتجعله بنيًّا، وشعرتُ بالدّفء والحب، وكان أقرب شيء وأحسن خيارٍ لي أن أبحث عن شقةٍ في وسط البلد؛ فجدتي كانت تسكن هناك؛ فسيكون المكان مألوفًا بالنسبة لي،

بحثتُ عن شقةٍ إلى أن جاءت الساعة الرابعة وكنتُ قد مللتُ من البحث، وأيضًا شعرتُ بالجوع، فوجدتُّ مطعمًا كان الناس يقفون عليه بالصفوف اسمه "القزّاز"، دخلتُ إلى المطعم وصدقًا لم أندم أبدًا على هذا القرار؛ فكان الأكل جميلًا، وفي وسط استمتاعي بوجبتي سمعتُ النادل يقول لرجلٍ يجلس بالطاولة المجاورة:

- يا عم أحمد مابتِتعَبش من اللّف طول النهار؟

- أتعب إيه بس؟ ده شغلتي يا ابني، وبعدين أنا ببقَى مبسوط قوي لما أجيب شقة لناس بتدور وتعبانة، بحس أن أنا اللي ارتحت.

توقفتُ عن الطعام ونظرتُ له؛ فالطّاولات في هذا المطعم متقاربةً من بعضها.

- أنا آسفة مش قصدي أقاطعك، بس أنا سمعتك بدون قصد وأنا بدور على شقة من الصبح، وحتى مفيش مكان أبات فيه.

- لا أبدًا أبدًا، اتفضلي معايا، هات يا حودة أكل الآنسة على ترابيزتي.

انضممتُ لمنضدته.

- بص يا عم أحمد.. أنا لسّه هبدأ حياتي، ومغتربة؛ فمحتاجة شقة سعرها كويس وفي مكان كويس.

- بس كده؟ انتِي تؤمري يا ست الكل، عندي شقة صغيرة إيجار رخيص،

يعني هتدفعي (300 جنيه) بس، وأصحابها ناس كُمّل مايتخيروش عنك.

- ربنا يخليك، لو ينفع توديني أشوفها يبقى كتّر خيرك.
- خلصي أكلك على مهلك وهوديكي.

جلسنا نتحدث عني، ولاحظ أنني خجولة ولا أحب الكلام؛ فكان يصمتُ في معظم الأوقات، ثم انتهينا وذهبنا حتّى نرى الشقة.

- إيه يا آنسة وقفتي ليه؟ آنسة شهد!
- هه؟ معلش يا عم أحمد سرحت شوية، هي الشقة هنا؟!
- آه، أهه العمارة اللي بعد الجاية.

*****

- انزلي يا شهد هاتيلي من خالتك أم آدم بصلتين وماتتأخريش، ومالكيش دعوة بآدم.
- حاضر يا تيتة.

*****

- آنسة شهد! واقفة ليه هو المكان مش عاجبك؟ آنسة شهد!
- لا لا يا عم أحمد، معلش يلّا.

دخلتُ العمارة وأنا لا أصدّق ما يحدث! امتلأت روحي بالطفولة ورائحة طعام جدتي وحديثها، وشجاري الدائم مع (آدم) وصُحبته التي هوّنت عليّ الكثير، ورائحة القهوة التي كانت تفوح وتملأ المكان عندما تصعد والدة (آدم) لتجلس مع جدتي، أتذكّر شجاري مع آدم بسبب أن جدتي كانت توافق أن آخذ رشفةً من القهوة، أما والدته فلا توافق، حتى أنّه في مرةٍ خبّأ –السبرتاية– حتى لا يشربون القهوة!

- وصلنا، نوريلي بس أفتح الباب.
- حاضر.

فتح الباب؛ فشعرتُ بالرّاحة عند دخولي ويبدو أنّها لم تُفتح لمدةٍ طويلةٍ، دخلتُ وأنرتُ الأنوار لأجدها كما هي.

في تعجب:

- انتِي عرفتي منين مكان النور؟!

في ارتباكٍ:

- أنا قلت إنه هيكون زي بيتنا في إسكندرية، هههههه وطلع زيه فعلًا.
- طب أنا هسيبِك تتفرجي على الشقة براحتك، عقبال ما أنزل لأستاذ آدم.

بتلقائية:

- همّا لسّه موجودين؟!

- إيه؟!
- أقصد يعني هو فيه حد ساكن في العمارة؟ أصل شكلها هادي جدًا.
- آه، آدم ووالدته (أصحاب العمارة)، وإن شاء الله انتِي.

ذهب عم (أحمد) وأنا على وجهي ابتسامةٌ عارمة وراحة نفسيّة، وأقول في نفسي يبدو أنها رسالة الله الثانية، أخذتُ أتفقد الشقة؛ فهي مريحةٌ كما هي؛ فعند دخولك من الباب سترى –أنتريه– قديم الطراز ويتوسطه منضدةٌ خشبيةٌ لونها بنيّ، كانت جدتي ووالدة آدم يجلسان دائمًا على هذا الأنتريه ويتبادلان الأحاديث، وعلى الجدار خلف الأنتريه صورة لعائلةٍ كبيرةٍ –عائلتي–، ثم في نهاية الصالة ستجد الطرقة، والتي أولها المطبخ، وتمشي خطوتين لتجد الحمام على اليسار، ثم خطوتين وغرفة تبدو أنها كانت للأطفال –غرفة أمي، والتي جلستُ بها عندما انتقلتُ إلى هنا في طفولتي–، وفي آخر الطرقة هناك غرفة أخرى –غرفه جدتي–، أضوائها خافتة وأثاثها قديم تجعلك تشعر بالأصالة، بها شرفةٌ جميلةٌ تطلّ على الشارع و...

يقاطعني عم أحمد وينادي:

- آنسة شهد!
- أيوَه يا عم أحمد، ثواني خارجة. .... عم أحمد، أقدر أستلمها امتى؟

- على طول كده؟!
- آه والنبي، أنا مفيش مكان أبات فيه، وارتاحت جدًا فيها.
- صعب قوي تستلميها النهاردة؛ عشان أستاذ آدم ووالدته مش موجودين وكلمتهم، أستاذ آدم هيجي بكرة.
- طب وبعدين؟
- بس فيه لوكاندة بعد البيت بعمارتين، تقدري تباتي فيها النهاردة وهخليه يقلّلك السعر.
- طب تمام.

ذهبنا إلى اللوكاندة لأقضي ليلتي الأولى بعيدًا عن عائلتي، ولكن شعرتُ بالعائلة في قلبي، وتذكرتُ كلّ شيءٍ يخصّ طفولتي؛ فأنا أعترف بأنني شعرتُ في هذه الفترة أنني أعيش وسط عائلةٍ تحبني عندما كنتُ صغيرة، والآن تجدّدَ بداخلي هذا الشعور، كان بداخلي شعوران متناقضان تمامًا؛ فكنتُ سعيدةً للغاية وحزينة أيضًا، ولكن شعرتُ بالامتنان تجاه ليلتي الأولى فكانت مُيسّرةً، وحتى عم (أحمد) السمسار كان رجلٌ شهمٌ وجيدٌ للغاية، أتساءل ما الذي سيحدث غدًا، ماذا سيكون شكل آدم الآن؟ هل سيتذكرني؟ هل سيستطيع التعرف عليّ؟ هل لا زال غليظًا كما كان في السابق؟ لا أعلم، لكنني تغاضيتُ عن تلك المشاعر ونمت

وكأنني لم أنم منذ خمسين عامًا، نمت ومنذ وقتٍ طويلٍ لم أنم وأنا بهذه الراحة وبداخلي لا أخاف أن أستيقظ في الصباح.

أفقتُ على صوت الباب، أحدٌ ما يطرق الباب:

- دكتورة شهد، يا دكتورة شهد.
- أيوه؟ أيوَه؟
- معلش إن كنت صحيتك، بس صاحب البيت جاي كمان نص ساعة.
- طب تمام، هلبس وهنزل.

بدّلتُ ملابسي وأخذتُ حقائبي ونزلتُ إلى عم (أحمد) وأنا بداخلي خوفٌ يؤلم معدتي من اللحظة القادمة؛ فأنا أريد أن أرى كيف سيكون آدم، وأعتقد أنني الآن أؤمن بالصدف.

- صباح الخير يا عم أحمد.
- ست الكل.. صباح الفل.

وسألته إن كان يعرف مكانًا لأعمل به؛ فقال أنه يوجد مصحّة في آخر الشارع الذي سوف أسكن به، وقال لي أن أتفقده.

- أهو صاحب البيت جه أهو.

لم أُرِد النظر، أخاف أن يفضحني شغفي، نظرتُ إلى الباب لأرى؛ ففضولي كاد يقتلني، رأيتُ شابًّا يبدو أنه في أواخر العشرينات ويستطيع

أن يجذبك إليه مثل المغناطيس كما يفعل مع الحديد؛ فوجهه يشعّ منه الوسامة كما تتساقط أشعة الشمس على دوّار الشمس فتملأ قلبك بالبهجة، ولا زال عابسًا كما في الماضي، ولكن عباسته تُزيده وسامةً، وأما عن جسده فهو طويل القامة ومفتول العضلات، ومحصّن بملابسٍ أنيقةٍ وجميلةٍ، ما زال يعشق ارتداء الملابس الكلاسيكية، و...

- أستاذة شهد! روحتي فين؟

كان قد اقترب آدم.

- معاك يا عم أحمد.

- أعرّفِك.. أستاذ آدم صاحب البيت.

مدّ يديه ليسلّم عليّ وأنا أريد أن أضربه على كتفيه كما في الماضي.

- ازيَّك؟

- الحمد لله تمام، وانتِي؟

بصوتٍ غير مفهوم:

- لسّه رخِم وإِتِم زي ما انت؟

- إيه؟!

- بقولك تمام الحمد لله.

- أعتقد عم أحمد فهّمِك كل حاجة، لو تمام نقدر نمضي العقد؟

قاطعتُه بتلقائيةٍ:

- هو انت على طول مستعجل؟

- أفندم؟!

- قصدي يعني إن تمام، يلّا نمضي العقد.

لا أعلم ما الذي أفعله، ولكنني أشعر بالارتباك، أقسم أنني لم أرَ وسامةً مثل وسامته؛ فهو أسمرٌ وجذابٌ لا أعلم كيف تغيّر هكذا.

- اتفضلي وقّعِي هنا.

أخذتُ الورقة ووقعتها.

- كده تمام، هستأذن أنا وهبقى أنزلّك الفلوس.

- تمام، لو كده أنا رايح العمارة ممكن أوصّلك.

- تمام.

تمشينا معًا وكان الصمتُ ثالثنا، فقط نسمع خطوات أرجلنا، أردتُّ أن يتحدث، أردتُّ أن يتذكرني ،ولكنه لـ...

يقطع شرودي:

- شهد، هو أنا أعرفك من قبل كده؟

- هههههههه أخيـ...

رن هاتفه وقاطع حديثي.

- معلش ثواني.
- خد وقتك.

بعد عدة ثوانٍ.

- معلش دي والدتي.
- لا لا عادي طبعًا.
- كملي، كنتِي بتقولي إيه؟
- مش فاكرة، هههه نسيت.
- ههههه، صحيح انتِي دكتورة إيه؟
- بعيد عنك أمراض عقلية وعصبية.
- هههههه، زمايل يعني.
- إيه ده انت دكتور؟

بتلقائية:

- مستحيل!
- إيه ده؟! ليه؟!
- لا قصدي بس إن عم أحمد ماقالِّيش يعني.
- أصل مش بشتغل بمهنتي.

- إيه ده ليه؟
- هو انتِي جاية هنا!
- آه فهمت، مش عايز تتكلم في الموضوع.
- ما انتِي كمان خدتيها حجة ومش عايزة تتكلّمي في الموضوع.

ضحكنا معًا

- هههههههههههه.

مشينا معًا إلى البيت، ولم أُرِد أن ينتهي الطريق؛ لأنني ولأول مرةٍ منذ وقتٍ طويلٍ أشعر بالفرحة والشغف لأعرف أكثر عنه، لم يكن لي أصدقاء غيره، وظلّت صداقتنا سنةً واحدةً، والآن جمعنا القدر، أريد أن أعرف عنه أكثر، ماذا يفعل؟ ماذا يعمل؟ هل يحب أحدهم؟ هل يتذكر (شهد) الطفلة الساذجة التي كانت تُربكه وتجعلُه أحمقًا؟ أشعر بتلك الدّغدغة في قلبي، ربما تكون دغدغة الشغف، أم أنني وقعتُ في حبّ صديق طفولتي؟ تساؤلات كثيرةٌ بداخلي، ولكن سرعان ما أفقتُ نفسي وقُلتُ أنني هنا لأجل شيءٍ آخر، وحتى إن شعرتُ بحنينٍ فلا بد أن أتذكر الشعور الذي جئتُ إلى هنا لأجله.

- وصلنا، وإن شاء الله ترتاحي في السكن.

كنتُ غارقةً في تخيّلاتي، وأول شيءٍ وقعت عيني عليه..

- إيه ده؟! الله!

نظر إلى الجانب الذي أنظر إليه:

- الورد؟

بتلقائيةٍ واندفاعٍ:

- لسّه في مكانه.

- إيه؟

- مكانه، يجنن وشكله تحفة.

- الورد ده هنا من 17 سنة، زرعتُه أنا وشخصيّة الورد كده، مبهج ومستحيل تملّي منه، يدخل الفرحة في قلبك حتى لو شوّكك.

نظرتُ له وهو شاردٌ يتحدث، وأعتقد أنني رأيتُ لمعة عينٍ لم أرها من قبل، أعتقد أن الإنسان تلمع عيناه عندما يتحدث عمّا يُحب، أو ربّما إلى ما يشتاق!

- دكتورة شهد!

- معاك معاك، تعرف؟ لمعة العيون واحنا بنتكلم عن حاجة بنحبها بتكون عاملة زي نجم كبير وساطع، ورغم إن فيه نجوم كتير حواليه إلا إن هو النجم الوحيد اللي بنفضل نركز معاه ونهتم بيه.

- وإيه لازمة تركيزنا مع النجم ده طول ما هو كده كده مش هنطوله.
- مفيش حاجة مستحيلة.
- عمومًا أنا اتشرفت بمعرفتك.
- وأنا كمان.

تركته وصعدتُّ إلى الشقة، وجلستُ على الأريكة التي كنا نجلس عليها وبداخلي شغفٌ وفرحة طفلةٍ الْتقَت بصديق طفولتها بعد وقتٍ طويلٍ من فِراقهما؛ فهو كان الأول والوحيد التي شعرتُ معه بالفرحة والحبّ والتلقائية، أتذكر عندما تُوفّيَت جدتي وجاء أهلي ليأخذوني معهم، لأول مرةٍ شعرتُ أن أحدًا ما يريد أن أبقى وحزينٌ لفراقي، وضع يده البريئة على كتفي يومها وقال لي:

- هو انتِي هترجعي تاني؟ ينفع ماتمشيش وهنلعب ومش هاضيقك؟ طب إيه رأيك أخبيكي في الدولاب عشان تنامي وتصحي الصبح نلعب؟

لم أكن أعرف الجواب وقتها، ولكنني كطفلةٍ بريئةٍ قلتُ له:

- نعم بالطبع.

وها أنا الآن هنا من جديد.

دخلتُ إلى غرفة جدّتي وأخرجتُ ملابسي ودخلت لأستحمّ، ثمّ خرجتُ وبدّلت ملابسي وجلستُ على السّرير أتذكر جدّتي ورائحة حِضنها الذي كان ينبعث منه الكثير من الحبِّ والسعادة والاطمئنان، كانت بالنسبة لي الأهل رغم بقائي معها سنة واحدة فقط، إلّا أنّها أعطتني الكثير مما كنتُ أفتقده؛ فدائمًا كانت تقول لي أنّ الأحفاد يولدون ليكونوا في عيون وقلوب الأجداد.

أخرجتُ مذكرتي وبدأتُ بالكتابة..

"ماتعافرش في حاجة انت مش مرتاح فيها"

المشاعر تحاوطني من جميع الاتجاهات؛ فأنا أفتقد أمي وأريد أن أعرف كيف حالها؟ وأيضًا خائفة لأنني لا أعلم ما الذي سوف يحدث، وأشعر بالفرح والشغف أيضًا؛ لأنني أعلم أنني سوف أحقّق ما جئتُ لأجله، وأن الله لن يتركني، إنّه اليوم الثاني بعيدًا عن أهلي، ولكن الله أراد أن أكون مع من يُطَمئن قلبي وأفرح معه.

*****

"لو لقيت نفسك مش مرتاح في حاجة اوعَى تحاول تقنع نفسك إنّك مرتاح وتصدقها؛ عشان مش هترتاح وهتتعب جدًا، أول ماتلاقي نفسك مختلف عن ناس ثقافيًّا وفكريًّا وإنك مش شبهّم افتكر حاجة واحدة بس.. وهي إنك هتفضل تسأل نفسك طول ما انت قاعد معاهم "أنا إيه اللي بعمله؟ أنا مش شبهّم" هتحس دايمًا إن فيه حاجة غلط وإنك مش مرتاح، هتفضل مخنوق جدًا، اهرب بنفسك لو لقيت ناس مش شبهك؛ لإنك لحد ما تطّبع بطبع ناس مش شبهك وتحاول تاخد عليهم وتبقى شبهّم وترمي شخصيتك عشان تبقى شبهم هتكون طاقتك خلصت وجبت جاز، نصيحتي لأي حد سواء كان كويس أو وحش أو بيحاول يبقى كويس أو في أول طريقه للانحراف اوعى ترمي شخصيتك وتحاول تتقمّص شخصية تاني لمجرد إنها عجباك، اوعى تدخل بين ناس انت مش مرتاح وسطهم وتقول بكرة هتعود، شخصيّتك ملكك ماتسمحش لحد يغيّر حاجة فيها انت مش حابب إنها تتغير لمجرد إنها مش عجباهم، التطبّع على وضع مش مريح من الأول عمره ما كان حل ولا هيكون، إنك ماتعيشّ بشخصيتك وتحاول تقلد الناس هتعيش وتموت وانت مش مبسوط ولا راضي، إنك تكون نفسك وتبطل تحارب

على حاجة مش هتحصل وتفهم إن المحاولة في شيء انت مش مؤمن بيه مش هتنجح لو عملت إيه، دي أحسن حاجة تقدّمها لنفسك.

واحد زميلنا كان في الجامعة كان طيّب ومحترم جدًا، وشخصيته من الشخصيات النادرة الجميلة، حَبّ بنت محترمة وبنت ناس، ولكن مختلفة عنه تمامًا في كل حاجة، وهو عشان بيحبّها ورغم إنه ماكانش مبسوط إلّا وهو بيحاول إنه يغير شخصيته وكل حاجة فيه عشان يبقى زيّها، نسِي نفسه ورمى شخصيته اللي كانت الكل بيشهد بيها لمجرد إنه بس يوصل لقلبها، وبعد ما قعد كتير يتطبع بطبعها ويحاول يبقى شبهها في الكلام والأكل والشرب والعيشة سابته؛ لأنها حسّت إنه مش بطبيعته معاها وإنه بيتصنّع في كل حاجة لأنه مش شبهها في ولا حاجة، ساعتها قال: "أنا كنت بحاول عشان بحبها، بس عمري ما كنت مؤمن باللي بعمله ولا كنت موافق عليه، حاولت أتطبّع على طبعها وأكون زي ما هي عايزاني مش زي ما أنا عايزني".

الحب الصّح عمره ما هيجبرك تعمل حاجة مش عايزها ولا يجبرك تغير مبادئك وطريقتك عشان حد نهائي، الحب الصح هيخلي الطّرفين يحبوا بعض وكل واحد بطريقته، مش هيبذلوا مجهود في إظهار حبّهم.

"هو الحب إيه غير شوية تلقائية؟"

(المصحة)

استيقظتُ على صوت أذان الظهر، ذهبتُ لأتوضّأ حتّى أصلّي، وعندما انتهيتُ بدلتُ ملابسي لأذهب إلى المصحّة التي أريد أن أعمل بها، وحتّى أعطي (آدم) الإيجار، لأول مرةٍ أقف أمام المرآة لأختار ملابسي بعنايةٍ وأضع مساحيق التجميل وأصفّف شعري؛ فدائمًا كنتُ أخرج دون اهتمامٍ بهذه التفاصيل، نظرتُ إلى نفسي في المرآة وابتسمتُ ابتسامةً بلهاء، وقلتُ:

- بلاش هبل، آدم مش أكتر من صديق طفولتي.

طرقتُ الباب ثلاث طرقاتٍ ولكن لم يفتح أحد؛ فظننتُ أنّه خارج المنزل، كدتُّ أذهب، ولكن فتح (آدم) الباب وهو شبه عارٍ من فوق؛ فكان يرتدي قميصًا أبيض مفتوحًا؛ فأدرتُ وجهي.

بصوتٍ مرتبك وهو يقفل أزرار القميص:

- أنا آسف جدًا، بس أصل الباب خبّط كتير فقولت حد مهم.
- لا ولا يهمك، أنا بس عايزة أديك الفلوس وقولت أعدّي عليك.
- طب تمام.
- هو انت تعرف المصحّة اللي برة دي كويسة ولا لا؟

- كويسة آه، أنا أعرف (حمزة)، ممكن أكلمهولك لو عايزة.
- لا لا مالوش لزوم.
- تمام يا دكتورة، لو احتاجتي حاجة قوليلي.
- تمام، هستأذن أنا عشان ألحق مواعيدي.
- ربنا معاكِي.

نزلتُ وهو انتظر ثانيتين وأغلق الباب، لم أُرِدْ أبدًا أن يغلق الباب ويمنعني من النظر إليه؛ فأنا أُطيل في الكلام حتّى أجعل عيني تشبع منه؛ فها أنا غارقةٌ به من أول نظرةٍ، غارقةٌ بنظراته ورائحته التي تجعل رئتيّ يهلّلان فرحًا برائحته، أشعر بطفولتي السعيدة عندما أراه، طوال الطريق لا أفكر بشيءٍ سوى آدم.

قاطع تفكيري وصولي إلى المصحّة، يبدو أنّه مكانٌ غير مريح؛ فلم يرتح قلبي، يبدو أنّه قديمٌ من شكل المبنى؛ فالدّهانات شبه ممسوحةٍ واللافتة قديمة، دخلتُ لأجد الأنوار بيضاء خافتة، والمكان كلّه مدهونٌ باللّون الأبيض، وبجانب الباب على اليمين يوجد مكانٌ للانتظار وأمامه طرقة، وفي اليسار طرقة أخرى وفي وسطهم مكتبٌ قديمٌ تجلس عليه فتاة تبدو في أوائل الثلاثينات، محجّبة ومنهمكة من الكتابة.

- مساء الخير، هو أقدر أقابل دكتور حمزة؟

ترفع وجهها عمّا كانت تنظر به..

- أقوله بخصوص إيه؟
- شغل.
- انتظريني 5 دقايق.
- تمام.

جلستُ لأتفقّد الهاتف وأنتظر (حمزة)؛ فجاءت أمامي خاطرة على إحدى الصّفحات تقول: "إذا لم تحدّد ما تريد في البداية ستجد أنّك ضائعًا في النهايـ...."

قاطعني صوتٌ خشن:

- في النهاية!

رفعتُ رأسي لأجد أمامي رجلًا جميلًا ووسيمًا، متوسط القامة وأيضًا متوسط البدن؛ فهو ليس بنحيفٍ ولا سمينٍ، وشعره كالحرير ينزل منه خصلٌ على وجهه، ولونه مائلٌ للأشقر وبشرته بيضاء.

- دي الخاطرة المفضّلة عندي، و(أميرة) قالتلي إنّك عايزاني بخصوص شغل.
- آه فعلًا، أنا لسّه جاية من إسكندرية ومعايا ورق تعيين.
- طالما جيتي هنا فانتِي أكيد دكتورة.
- ههههه أكيد طبعًا.

- طبعًا المصحة شغلها مش سهل وخاصةً هنا، احنا هنا عندنا المرضى بيعانوا من أمراض مزمنة، وطول الوقت احنا في شدة أعصاب.

أومأتُ رأسي بعلامة الموافقة.

- طيّب (أميرة) هتفرّجك على المكان وهتقولّك التفاصيل كلّها والأوراق المطلوبة، وفكري.. لو تمام تعالي بكرة ابدأي الشغل.
- تمام جدًا.

ذهبنا أنا وأميرة، أخذتني أولًا إلى الطرقة اليمنى، أوّلها كانت غرفةً مقفلةً بقفلٍ كبيرٍ، ويليها غرفتان مقفلتان أيضًا، ولكن يبدو أنّهم غرفٌ للمرضى، وأمامهم غرفتان ويليهم على الجهة اليسرى توجد غرفة أخرى.

- بصي يا ستي.. أول غرفة دي مقفولة من زمان، تاني غرفة دي فيها مريض اسمه (أحمد عبد الجليل) بيعاني من الاكتئاب المزمن، تالت غرفة دي فيها (حور محمد)، ودي بقى يا ستي بتعاني من الهوس.. هههههههه مجنونة يعني.

في صوتٍ حادٍّ:

- المرضى النفسيين مش مجانين يا أميرة.
- طيب بس حيلك وماتزعليش، تالت غرفة فيها (فرحة عبد الدائم) وبتعاني من القلق المزمن، رابع غرفة وهو (محمد ممدوح) بيعاني من الكونسلتو،

خامس غرفة فيها واحدة اسمها (شهد).. ههههه على اسمك يعني، ودي ما شاء الله بتعاني من كلّ اللي قولناه فوق وزيادة عليهم انفصام حاد في الشخصية، وشك ووسواس قهري واضطراب الشخصية الحدية، أصل بعيد عنّنا أهلها والناس اللي في حياتها خلوها كده.. مسم، مسكينة، تعالي بقى على الطرقة الشمال.

كانت أول غرفة تبدو أنّها غرفة (حمزة)، وثاني غرفة بها أسِرّة كثيرة يبدو أنّها غرفة الممرّضات، وأمامها غرفتان على اليسار وغرفتان بعدهما بخطوةٍ على اليمين، وغرفتان في آخر الطرقة، ويليهم سلمٌ للأسفل وسلمٌ للأعلى.

- شوفي بقى يا ستي.. أول أوضة بتاعت دكتور (حمزة)، والتانية بتاعتي أنا والممرضات، والتالتة بتاعت (منى محمد أشرف) ودي بتعاني من الهوس، الرابعة بتاعت (سها عبد القادر) بتعاني من الكونسلتو، الخامسة بتاعت (تامر عبد الباقي) وبيعاني من الوسواس القهري، السادسة بقى ودي آخر واحدة في الدور بتاعت (مريم سامح) وبتعاني من الكونسلتو.

أخذتني إلى الطابق العلوي، وقالت لي أنّ به غرفةٌ واحدةٌ فقط والباقي مُغلق.

- اسمه (يوسف) وبيعاني من اضطرابات ما بعد الصدمة، تمام كده؟

- أنا صدّعت.
- هههههههه انتِي لسّه شوفتي حاجة!
- شكلي هتبسط معاكوا هنا.
- هههههه، ماتقلقيش هتتعودي.
- المهم، هبدأ امتى شغل؟
- زي ما قالّك دكتور (حمزة).. لو كله تمام ابدأي من بُكرَة.
- آه تمام.
- استنيني هنا، هجيبلك ورقة التعليمات.

وقفتُ أنتظر (أميرة) وكلّ ما يدور في بالي أنّ هذا المصحّة تشبه حياتي، وأنني أشعر بألم كلّ شخصٍ هنا؛ لأنني مررتُ بكلّ شيءٍ تقريبًا، هذا المصحّة تبدو لي كالحياة، وكلّ شخصٍ هنا يُمثل حياة الآخرين في الخارج.

قاطع شرودي:

- اتفضلي يا دكتورة دي ورقة التعليمات، ودي ورقة التعيين اللي هيمضيها دكتور (حمزة) بكرة، وآه فيه حاجة نسيت أقولهالك.. المرضى هنا مابيتكلّموش ولا نعرف سبب مرض كل واحد لحد دلوقتي، بمعنى أصح المصحّات الكبيرة بتجيبلنا الحالات اللي زي دي، ويا إما بيكمّلوا حياتهم

هنا أو بيتحسّنوا، هما طول الوقت هتحسّي إنهم في عالم تاني، ولو حد طلّع كلمة بنزغرط.

- مممممممممم، طيّب تمام، شكرًا يا أميرة.

خرجتُ إلى الشارع وكأنّهما عالمان منفصلان، لا أعلم، ولكن لم يطمئن قلبي لهذا المكان، وسرعان ما أخذتُ نفَسِي كأنني كنتُ عاجزةً عن التقاط أنفاسي.

أشتاق إلى رائحتكَ التي خبّأتُ منها قدر ما استطعتُ في رئتيّ، ولكن أخاف أن تنفد، وأشتاق أكثر لِحضنكَ الذي طالما شعرتُ بالدفء فيه، ولطالما كنتُ أحلم أن تكونَ دائمًا بجانبي، ولكن أنتَ كالأشياء التي بدأتُها ولم أُنهِها كوقوفي في منتصف كتابٍ، وشرب نصف كوبٍ من القهوة، كأفكارٍ رسمتُها في ذهني ونسيتُها بعد ليلةٍ من البكاء، كغيمة غزل البنات الملوّن أخذتها بيدي لآكلها؛ فتراجعتُ تاركةً إياها تصعد للسماء حيث ملاذها الأخير، أنتَ كآخر دقيقةٍ لتسجيل هدفٍ لم يُحتسب، كملوحة دمعي الذي مصته شفتاي قبل أن يصل بعنقي المزين بأنفاسكَ المنقطعة، أنتَ كنقطةٍ قبل النهاية.

أرغب بك وكأنّني لم أرَ في بُعدكَ يومًا جميلًا، أعلم أنّك لن تعود، ولكن أتوق لكَ شوقًا وعشقًا، ولكن ما يصبرني أنّ صورتك ورائحتك معلّقتان في قلبي وعقلي وكياني كلّه، أتمنى أن تعود لـ...

- أستغفر الله العظيم، يا ساتر يارب، الحلم البشع ده، آدم مش هيروح في حتة ولا هكتبلُه جوابات؛ لأن مش هسمح يبعد تاني، شكلي وقعت في حب آدم بجد ولا إيه؟!

أنظر في ساعتي لأجد الساعة الثامنة صباحًا، أنهض من السرير لأذهب إلى المصحّة، لم أقف كثيرًا أمام مرآتي لأتزيّن؛ فأنا لم أحب هذا المكان.

- هي الشنطة اللي فيها الحاجة فين؟

بعد بحثٍ طال لمدة ربع ساعةٍ تقريبًا.. "ألم أقل لكم أن الوحدة أحيانًا تكون لها فوائد؟

أهلي لم يوفّقوا أبدًا أن يكونوا لي أصدقاء؛ لذلك كنتُ وحيدةً معظم الوقت، وكان أصدقائي الوحيدون هم (الكتب)؛ فلطالما كنتُ أقرأ في كلّ شيءٍ -الكيمياء، والفيزياء، وجميع العلوم والاكتشافات، والفلسفة؛ فقرأتُ في كلّ شيءٍ يدور في بالكم تقريبًا-، أعتقد أنني نسيتُ أن أقول لكم أنني دخلتُ كلية الصيدلة أولًا وبعد سنةٍ انتقلت، وهذا ما جعلني

أخترع دواءً وأجربه على نفسي أولًا؛ لأنني كنتُ وحيدةً ولم أستطع التحدث عمّا يحدث في حياتي؛ لأنني كنتُ أخاف دائمًا وأرفض الشعور بالضّعف؛ فكنتُ آخذ هذا الدواء لأدخل بعده في حالةٍ غير متناهيةٍ من الحديث، وكنتُ أُخرج كلّ شيءٍ بهذه الطريقة.

"هخليكِي فخورة بيا مهما كلفني الأمر، أنا هنا وهستخدم اختراعي وهينجح وهنجح معاه، وهتبقي فخورة بيا"

المصحة - اليوم الثالث

الشعور بالفشل "فرحة عبد الدايم"

أصعب حاجة ممكن حد يفضل يحسها بصورة مستمرة هي الشعور بالفشل، هنا الشخص بيبدأ يفقد ثقتُه في نفسه وفي اللي حواليه، ويكمن حتى يفقد ثقته في ربنا! إنك تحس إنك طول الوقت فاشل ومش عارف تنجح وتحقق اللي بتتمناه في نفس الوقت اللي انت بتبقَى شايف كل اللي حواليك بيحقّقوا اللي يتمنوه، ده شعور وحِش جدًا بيخلّي روحك تطفِي وتحس إنك عايش بلا هدف، بس أعتقد إن احنا السبب في الفشل، وإن السبب الرئيسي في فشلنا أو نجاحنا هو عقلنا، وماهاش علاقه خالص بغنَى أو فقر الشخص.

مرة قريت في كتاب لـ"نابليون هيل"، وقال في كتابه الشهير: إن عشان تنجح في حياتك وتبقى حاجة مش مهم أبدًا الفلوس، وإن أهم حاجة عقلك "فكّر تصبح غنيًا"، وهنا غنيًا مش معناها غنيّ فلوس، لا هي معناها غني العقل والنجاح؛ لأن أفكارك أقوى بكتير ممّا انتَ متخيل، يعني لو قدِرت تستغل عقلك ده مش هتشوف يوم فشل، وحتى إن فشلت حاول تاني وغيّر طريقة تفكيرك.

إنه اليوم الأول بعلاقتي مع آدم، وأشعر أنني بكامل حريتي وسعادتي، ذهبتُ إلى المصحة بعد أن أخذت قهوتي في شرفة غرفتي مع آدم، وحتى أنني فعلت ما أردت فعله وما جعلني سعيدة.

لم أجد أحدًا بالمصحة غير الحارس؛ فأخذت مفتاح غرفة "فرحة" ودخلت إليها لأجدها واقفة عند النافذة تنظر منها على الدنيا، ورغم أنه مقفولٌ بقفل كبير إلا أنها تستمتع بمشاهدة الآخرين عبر تلك النافذة، اقتربت منها لأشاركها تأملها، ووقفنا نتأمل في صمت لمدة خمس دقائق، ثم...

نظرتُ إليها:

- انتي عارفة إن النهاردة أحسن يوم في حياتي؟

تنظر لي.

يبدو أنكِ اسم على مُسمى، لم أحصل على أية استجابة..

- طب على العموم خُدِي الدوا عشان أمشي أنا.

أعطيتها الدواء، ثم دخلَت أميرة وحمزة.

- إيه الأخبار يا دكتورة؟

- كله تما..

- الحقي يا أميرة ارفعي معايا.. دكتورة شهد.. شهد.

أشعر بهم وأشعر بلطماته على خدِّي، ولكن أشعر أنني فاقدة للوعي، وأنني غير موجودة في هذه الدنيا.

- دكتورة شهد، انتي كويسة؟

- ااااا دكتورة مين؟! هههههه أنا مش دكتورة، أنا كان نفسي أبقى دكتورة..

- خدي شهد واخرجي يا أميرة.

- لا لا أنا كويّسة، هو المفعول هيبدأ دلوقتي وهتتكلّم.

أميرة وحمزة معًا:

- مفعول؟!

- أنا قولت مفعول! يلّا أنا خلاص بقيت كويّسة أهو.

ينظران إليّ في تعجب، ولكنني لا أبالي نظراتهما.

- احنا مستنيين إي..

قاطعته فرحة:

- أنا اسمي فرحة.. كنت دايمًا فرحانة وأنا لسّه فرحانة، أنا حققت كل اللي نفسي فيه، هههههههههههه أنا كدّابة، أنا لا فرحانة ولا حقّقت حاجة من اللي نفسي فيها، وزهقت من كتر ما بقيت بتعاير بفشلي في كل حاجة ومعرفش إيه السبب في ده! يمكن زي ما بيقولوا عليّا منحوسة! وأنا مالي

يعني إني مش عارفة أنجح في حاجة، وجربت كل حاجة ممكن تخلّيني أنجح، وبرضه مابنجحش في حياتي، وأنا صغيرة كان عندي أحلام كتير قوي، ورغم إن عائلتي معاها فلوس إلا وأنا ماحقّقتش أي حاجة من اللي نفسي فيها، كنت طول الوقت كل ما أقولهُم أنا عايزة أعمل حاجة يقولولي انتي بنت.. يعني في الآخر مالكيش غير بيتك وجوزك، كانوا دايمًا يقولولي انتي فاكرة نفسك هتعرفي تعملي اللي الراجل بيعمله؟ أنا ماليش لازمة في الحياة ولا هيبقالي لازمة، وخلاص إحساس اليأس بنَى بيت جوّه روحي وبقيت يئِسَة من الحياة ومش عايزة أحاول مرة كمان، آخر مرة قولت هحاول مرة كمان خسرت كل حاجة.. (تمسح دموعها) مرة واحد قالّي "إن التشجيع بنزين النجاح"، يعني لو بس كنت لقيت حد يشجّعني كنت أكيد هنجح، بس أنا مالقيتش حد يشجعني، كانوا طول الوقت في البيت بيقولوا الفاشلة راحت الفاشلة جات، وحتى في المدرسة كانوا المدرسين بيقولولي يا بليدة، أنا فاشله هههههههه بليدة.. ماليش لازمة..

استمرت تمتم بهذه الكلمات إلى أن هدأت تمامًا وعادت لطبيعتها.

- يلّا يا دكتور حمزة هي مش هتتكلّم تاني.

خرجنا من الغرفة وأنا أعلم أنه سيعلّق على ما حدث بالغرفة.

- انتي واضح إنك بتضغطي على نفسك الفترة دي.

- آه شوية.

- طيب خلاص، روحي ارتاحي وبُكرة نتكلم.

خرجت من المصحة وأنا أشعر بحزن شديد، هذا المكان يؤثر عليّ كثيرًا.

عدت إلى البيت وأنا لا أريد شيئًا سوى آدم؛ فوقفتُ أمام شقته وطرقت على الباب، فتح آدم فسرعان ما عانقته وبكيت، ولكن يده الذي احتوتني سرعان ما هدأتُ وقبّلتُه من خدّه، وصعدت وكأنني أقول له إن زراعيك مأمن لي، أقسم أنني أشعر أنني أمتلك الدنيا وأنا في حضنه، ولا أريد شيئًا سواه؛ فهو كل شيء بالنسبة لي، هو ملجأي ومأمني الوحيد.

المصحّة - اليوم الرابع

محمد ممدوح "صندوق الذكريات الأسود"

لا أجد الكلمة مناسبة حتى أصف هذه الجملة "صندوق الذكريات الأسود" غير أنها همٌّ وثِقَلٌ على الروح والجسد؛ فصندوق الذكريات الذي لا يعلم به أحد غيرنا يجعل روحَنَا تشعر بالثّقَل؛ فلطالما نشعر أننا نريد أن نُخرج هذه المشاعر ونشاركها مع أحدهم، ولكن دائمًا نخاف من ردّة فعلهم وانطباعهم السيء الذي سوف يأخذونه عنا.

كل الناس تخطئ، ولكن الفرق الوحيد هو أن هناك من كُشفَ سترهم، وهناك مُن هم ما زالوا مستُورِين؛ لذا لا تُفكّر نفسك أفضل من الناس الذين أخطأوا لئلّا يكشف الله سترك.

- صباح الخير يا أميرة.

- صباح الفل يا دكتورة.

- عايزَة مفتاح أوضة محمد.

ببرود لا أفهمه وكأنها تتحداني:

- دكتور حمزة منبّه إن مفيش جلسات لوحدك.

- وده ليه بقى؟

- عشان اللي بيحصل ليكي.

لغة كتهديد، ولكنه بطريقة غير مباشرة:

- هاتي المفتاح عشان أنا هخُشّ دلوقتي، ولما يجي دكتور حمزة هبقَى أقولّه إني أخدتُه بالعافية.

أخذت منها المفتاح ودخلت إلى غرفة محمد، وجدتُه في المرحاض فانتظرته، خرج ولم يبالِ بوجودي وكأنني أثاث من أثاث الغرفة، حتى أنه لم ينظر لي.

- محمد، أنا هنا عشان أسمعك.

ينظر لي ويهز رأسه بالموافقة.

أعطيتُ له الدواء، وانتظرتُ في صمت لمدة عشر دقائق.

- أنا بكره الماضي وبكره الحاضر اللي ندِمْت فيه على الماضي، ومعرفتش أحقّق حاجة، ياريتني ما كنت عملت حاجات غلط في حياتي، وأنا صغير فيه واحد قريبنا اتحرّش بيا وماكُنتِش بقدر أقول لأهلي من الخوف.. مرة خَدْني وعمَل اللي عايزُه، وكان عندي وقتها 11 سنة، وطلّعِلي سكينة وقالّي لو قُلت لحد هقتلك بيها، خُوفْت وماقولتش لحد، ومن ساعتها لدلوقتي ماقُولتش لحد عشان خايف يقتلني، وبسبب الموضوع ده كنت بحِسّ إن أنا مختلف عن كل الناس، حتى إنه علّمني

أسرق، وهدّدْني إن برضه لو قُولت لحد هيقتلني، لحد ما كبرت وأنا خايف وجبان ومختلف عن كل الناس، وحتى ماكانش عندي أصحاب؛ لأني كنت بخاف يبان عليّا إني بعمل حاجات غلط، هو أنا وحش، صح؟ أيوه أنا وحِش، وعشان كده حاولت أموّت نفسي كذا مرة وفشلت، لحد ما رموني هنا وهما حتى مايعرفوش أنا هنا ليه! أصل محدش مهتم بيّا من صغري، ومش هيهتمّوا، أصل عندنا في العيلة طول ما انت بتاكل أحسن أكل وبتلبس أحسن لبس يبقى مش من حقك تزعل ولا تشتكي ولا تقول مالك.. (يبكي).. أنا بكرههُم قوي؛ لأن لو كانوا اهتموا بيا وخلوا بالهم مني زي ما ربنا وصّاهم ماكانْش هيبقى عندي صندوق ذكريات شايلُه على قلبي لوحدي.

أغلقت شريط التسجيل وخرجت من غرفته وأنا أشعر بالحزن لأجله، كل ما أتمناه لكل الناس أن لا يعيشوا في الماضي وينسوا صندوق ذكرياتهم الأسود؛ لأن ذكريات الماضي السيئة تجعلنا عالقين في الماضي ونقتل حاضرنا ومستقبلنا.

المصحة

اليوم الخامس

- ها يا دكتور آدم؟ فاقت؟

بعصبية:

- هو مين اللي قالّكم تدّوها الدوا وأنا مش موجود؟ ازاي يعمل كده؟! دي واخدة في الأربع أيام اللي فاتت 4 برشامات، لو حصلّها حاجة أنا هوديه في داهية.

- إن شاء الله خير.

بسخرية:

- خير!

يقاطعه حمزة:

- فيه إيه يا آدم؟

- مين قالّك تديها دوا من غير إذني؟

- اهدى يا آدم.. المحلول هيخلَص وهتبقى كويسة.. وبعدين انت مالك قلقان عليها كده ليه؟

يتهته آدم:

- قلقان! أنا بس خايف يجرالها حاجة نروح في داهية، وبعدين مش من حقك تلمس حالة تخصني.

بسخرية:

- طيـ...

قاطعتُه:

- فيه إيه؟!

يُخرِج الجميع الزفير من رئته.

- مش قولتلَك هتفوق!

تنظر لهم في تعجب:

- فيه إيه؟!

يرد آدم:

- فاكرَة اسمك؟

- ريم أحمد.

- قابل يا عم.. شخصية جديدة.

رفعت ريم رأسها ونظرت إلى آدم، وأشارت عليه وقالت:

- أنا بحبك قوي ومش عايزاك تمشي.. انت الحاجة الوحيدة اللي بتخليني ما أخافش ودايمًا بشوفك حتى لو... حور محمد، أحمد عبد الجليل، فرحة عبد الدايم، محمد ممدوح هههههههههه صح، صح.

قاطعها حمزة:

- بس انتي كده بقيتي كويّسة.. يلّا يا جماعة نخرج وهي هتبقى كويّسة.

قاطعته بلهفة:

- لا لا أرجوكم ماتسيبونيش، أنا مش عايزَة أكون لوحدي، أنا طول عمري لوحدي، طب على الأقل خليك انت يا آدم ماتطلعش برّه، أنا بطّمّن بوجودك حتى لو مش هتتكلم، كفاية إن عيني تكون شايفاك.. (تشاور على حمزه) ده.. ده شرير، انت مش زيّه، ده عامل زي أهلي اللي رمُوني أنا والناس اللي بكرهّها، أنا خايفة... أنا خايفة قوي يجوا دلوقتي، أنا سامعة صوت رجلين ومفاتيح أنا عارفاها كويس! أنا كنت بستخبّى تحت السرير لما بسمعهم في البيت، طب هنا هستخبّى فين؟! وسع كده.

نزلَت تحت السرير وأخذَت تتَمْتِمُ وتعيد الكلام عدة مرات:

- بكرهكم.. خايفة.. بحب آدم.. حمزة الشرير، أنا زعلانة من نفسي وزعلانة من الدنيا والناس.

تعصّب حمزة وأمرهم أن يخرجوا من الغرفة، ولكن رفض آدم أن يتركها، وقال لهم أنه سينتظر معها لمدة قصيرة، ولكن أصرّ حمزة أن يخرجوا جميعًا.

المصحة - اليوم السادس

منى محمد أشرف "مقاييس الجمال".

(مقاييس الجمال).. لم أسمع هذه الجملة من أمي، وكانت دائمًا تقول لي أن جميع الفتيات جميلة، إنه لا يشترط أن تلبس الماركات وتكون غنيًا لتكون جميلًا، كانت تقول لي إن الغنَى والجمال جمالُ القلب وصفوّ الروح وتقبّل النفس كما هي، ولكننا الآن نعيش بعالم لا يفعل شيئًا سوى وضع مقاييس، وإن لم تمتلك هذه المقاييس ستكون قبيحًا.

من هذه المقاييس التي تدمّر نفسية أكثر من مليون بنت يوميًا هي مقايس الجمال، الذي مع تقدّم السوشيال ميديا تقدّمَت مقاييس الجمال، وأصبح الجميع يعاير بعضه البعض بسبب افتقاد تلك المقاييس، وحتى أن الأمهات أصبحَت تقلقُ كثيرًا بشأن هذا الأمر، وتريد أن يكون أبنائِها ذات تلك المقاييس؛ لأنها تخاف من أنهم لن يتزوجوا بسبب تلك المقاييس.

"أعتقد إن مفيش حاجة اسمها مقاييس جمال، وكل إنسان له جماله الخاص اللي بميزه، زي مثلًا إن واحد شكله مختلف، أو واحدة ذكائها مختلف، أو واحد روحه حلوة جدًا وناجح في علاقاته وشغله وحياته".

لا يوجد شيء اسمه مقاييس جمال؛ فلا تقلقي يا عزيزتي.. أنتِ جميلة في أي حال، وتأكدي أنه ليس عليكِ أن يكون لديكِ الجسد المثالي ذات المؤخرة والنهدين اللّذَين يصلا لبرج القاهرة حتى تكوني جميلة؛ فأنتِ جميلة بجمال روحك وقلبك، وأنتَ أيها الشاب لا يشترط أن تكون ملتحيًا أو ذات الجسم المفتون بالعضلات، أو ترتدي الماركات حتى تكون جميلًا.

"الجميع جميل ما دام غير مصطنع".

يزداد كرهي كل يوم عن اليوم الذي قبلَه للمصحّة؛ فأنا أكره هذا المكان الذي يجعلني أحزن وأتوجع من أوجاع الناس، وحتى أنني أشعر أن الهواء في ذلك المكان يجعلك تتنفّس طاقة سلبية، هل شعرتَ بأنك لا تريد أن تذهب لمكان ما ولكنك مضطر لهذا؟!

ذهبتُ للمصحّة كالعادة، وجدت أميرة جالسة على مكتبها..

- صباح الخير يا أميرة.
- صباح النور.

- إيه الأخبار؟

- كله تمام.. هتدخلي النهاردة لمين؟

- منى.

- طب خدي المفتاح أهو وخلّي بالك.

أخذتُ منها المفتاح وذهبتُ إلى غرفة "مُنَى"، وكنت قد سمعت من حمزة أنها هنا بسبب عدم الثقة بالنفس؛ لأنها دائمًا ترى نفسها قبيحة.

اقتربتُ من السرير لأجد فتاة جسمها ممتلئ، ولكن أقسم أنني لم أرَ ملامح جميلة بهذا الشكل.

- منى!

لم أجد منها أية استجابة وكأنها لا تسمعني.

- منى.. مُنَى الجميلة.

تقاطعني نظرة شر منها وكأنها تقول إنها ليسَت جميلة.

- طب يا جميل...

تقاطعني في غضب:

- أنا مش جميلة، أنا تخينة وكلهم بيتّريقوا عليّا.

ذُهلتُ أنها تحدثَت دون أية أدوية، وعلمتُ أنني استفزَزْتُها إلى أن تحدّثَت.

- ممكن يا جميلة تتكلمي معايا؟

- يوووه ما قولتك أنا مش جميلة.. أولًا أنا مُنى، جميلة إلى حدّ لا تتوقعه؛ فلديّ الجسد المثالي الذي دائمًا يكون مُحصّن بملابس أنيقة وبسيطة، أما عن وجهي تستطيع أن ترى وجهَكَ به، وتستطيع أيضًا أن ترى قلبي خلاله؛ فهو يظهر على وجهي تلقائيًا، يتوسط وجهي عينان ساحرتان تتناثر عليهما قَصّة من الحرير، وأنف مستقيم وحاد، ويحاوطهم من الجانبَين غمازتان جذابتان، وأما عن فمي فهو جذاب أيضًا، وشعري يصل إلى أسفل ظهري، و... هههههههههه أنا بكدِب، أنا لا عندي جسم مثالي ولا عندي حاجة حلوة، أنا عادية، ويمكن أقل من العادي، طول عمل الناس بتتريق على جسمي، وِحِش قوي لما تكون في تانية ابتدائي فينادولَك تخّة أو دبدوبة أو العِجْلة أو يا فِشِلّة، معرفش كان إيه علاقة إن تخينة بالأطفال اللي كانت بتقول دايمًا في أي مشكلة تواجههم هنجيبلكُم "مُنَى" الفِشِلّة تضربكم! أقولّك على حاجة؟ هقولّك.. أنا حتى أهلي كانوا طول الوقت بيعايروني وربُّوا فيّا إني مش حلوة، وماما كانت دايمًا تقولّي مش هتتجوّزي بسبب تخنك ده.. أنا زعلانة منها قوي، (تبكي) مرة واحدة بس جالي عريس، وكان كله قاعد، وخالي كان موجود فالعريس كان بيتكلم في قايمة معيّنة؛ فخالي راح قالّه ده احنا عالفِين عالغالي، ومن

ساعتها وأنا حاسّة إنّي قليلة، وإن أنا أوحَش واحدة في الدنيا هههههههه أنا بكره شكلي ومنظري، وبكرَه إني بسأل ربنا ليه خلقتني وِحْشَة، عارفة؟ أنا مش هسامح أي حد كان سبب في إني أترمِي هنا، وأول حاجة هعملها لما أمشي من هنا إني مش هرجع للناس اللي دمرتني.

خرجتُ من غرفتها وأنا أريد آدم بشدة، أريد أن أطمئن عليه؛ لأنه أتى ببالي فجأة، ثم أخرجتُ الهاتف من حقيبتي لأجده بوجهي قبل أن أتصل.

- آدم!

- وحشتيني قولت آجي أشوفِك.

اقترب مني لعناقي.

- أنا كنت لسّه هكلّمك حالًا، انت كويس؟

- أنا كويس طول ما انتي كويّسة.

اقتربتُ منه ووضعتُ رأسي على صدره.

- أنا كل ما بحتاجَك بلاقِيك وكأنك بتقرأ أفكاري.

أخذني آدم وذهبنا إلى النيل، كان يريد أن يفرِحَنِي، ولكنني أردتُ أن يعلم أنني أفرح عندما أراه، لا يهم أين ذهبنا أو ما الذي حدث؟ أنا فقط أفرح عندما أراه، وأفرح عندما أراه يفعل شيئًا لأجلي مهما كان هذا الشيء

سها عبد القادر "التحرش من الأهل؟"

أعتقد أن لا شيء يؤلم أكثر من هذ الفصل، هذه القصة ليست خياليه وحدثت بالفعل مع صديقه لي.

التحرش الجنسي من الأهل! هل تخيلتَ حجم معاناة ذلك الفرد؟! أريدك الآن تتخيل أن أحدًا من أفراد عائلتك يتحرّش بك، أو تُثار غرائزه الجنسية تجاهك!

أعلم شعوركم؛ وهو القرف حتى من التفكير بالموضوع، أما إذا قُلتُ لكم إن تلك الفتاة كان يتحرش بها أبوها، أو بمعنى أصح يغتصبها!

لا أعلم حجم المعاناة التي قد يعانيها شخص كهذا، ولكنني أستطيع أن أتخيل حجم الكارثة التي ليسَت فقط ستدمر تلك الشخص من الداخل والخارج، ولكنها أيضًا سوف تُنهِي على حياته.

أعلم أن ما أقولُه سوف يبدو غير منطقيّ، ولكن الكثير من الأقارب يتركون أطفالهم مع أقاربهم الذين يظهر عليهم أنهم رائعون، ولكن أنتَ لا تعلم رغبتهم أو شهوتهم ستقودهم إلى أي طريق، وأنا هنا لا أعمّم

بالطبع، لا.. ولكن عليك أن تتعلّم أن تلاحظ أبناءَك وتكون بجانبهم خطوة بخطوة، إلى أن يعلموا الصح من الخطأ، ولكن إذا تركتهم دون ملاحظة مهما كانوا مع أقرب أناس لكم لا أتوقع نتيجة مُرضية.

وصلتُ إلى المصحة لأجدها هادئة، ويمكن أكثر من اللازم؛ فلم أجد أميرة أو أحد من الذين يعملون، فتحتُ الدُّرجَ وأخذت مفاتيح غرفة "سُها".

دخلتُ إلى الغرفة، وجدتُها جالسة في ركن من أركان الغرفة، ويبدو أنها خائفة ومتوترة، وحتى أنني لاحظتُ ذلك عندما فتحتُ الباب وكأنها تخشى شيئًا.

- سُها، ماتخافيش أبدًا.. أنا هنا مش عشان أأْذِيكِي.

رفعَت رأسها المحنيّة على قدميها ونظرَت لي، ورأيتُ بعينيها كلامًا كثيرًا.

- سها، طب خلاص مش هضغط عليكِي، هدّيكي الدوا وأخرج.

انتظرتُ بضع دقائق.

بفزع وخوف:

- أأأ أنا خايفة.. خايفة قوي.. وووو أنا بكره الناس، بكرهُّم وبخاف منهم.

- ماتخافيش وكملي.

- أنا بقيت أخاف من الناس وبكرهُّم، وحتى بكره نفسي، وأنا صغيرة كانت أحلامي صغيرة، وكان كل حلمي إني ألعبَ مع الأطفال اللي في سنّي، بس للأسف أنا ماعِشْتِش، ماما كانت بتسِيبني وترُوح الشغل، كانت بتسيبني مع أبويا، مكسوفة أقول عليه أبويا، ده مش إنسان طبيعي، في الأول كان بيلمسني في المكان اللي ماما قالتلي ده محدّش يجي جمبك، ولو حد جِه جمبُه هموّتك، ماكُنتش فاهمة إنه عيب، و و خُوفت أقولّها لأنها قالتلي لو حد جِه جمبُه هموتك، (تبكي بحرقة) كان بيعمل كده كل يوم، أنا كنت بدعِي إن ماما ماتروحش الشغل عشان ماتسِبْنيش، كنت بخاف منه قوي، بخاف من شكلُه وهو بيعمل كده، وبخاف من نظراته.. أقولّك حاجة؟ أنا كنت بتمنّاه يموت كل يوم، طب ربنا اللي كنت بعيّطلُه كل يوم من الخوف فين؟! فضِلْت عايشة 16 سنه من عمري بتألّم وبخاف كل ما أسمع صوت الباب بيتقفل ورا ماما، ولما حاولت أقاوم هدّدني إنه هيموّتني وشوفت في عنيه شر، أصعب حاجة لما حد يعيش مع حد مش مرتاح معاه، ما بالِك بقى ده أبويا وبيعمل فيا كده.

- كمّلي أرجوكي.

تنظر إلى الأعلى.

- بقيت بخاف من الناس وبكرههُم، بخاف يعرفوا اللي حصل فيّا وإنه كل يوم كان بينام معايا، أنا يُعتبر كنت طفلة وهو ماهمّهوش ده، كنت بصرخ وكان بيقولّي لو نطقتي هقتلك، بكرَه الناس عشان كلهم زيّه، صح؟ كلهم زيه هههههههههه زيّه أنا عارفة، انتي عارفة إن هو عمل فيّا كده هههههه، أنا حاولت أنتحر، وهحاول لحد ما ده يخلص، أنا أهو.. سامعة؟ الصوت جوايا بيقولي انتحري وموّتي نفسك...

أخذَت تتمتم بكلام متقطع:

- أنا وحْشَة، أبويا اغتصبني، (تبكي بحرقة) أمي سابتني، كنت خايفة قوي، ماتقفلوش الباب أرجوك، أنا وِحشة وبكرَه الناس، الناس وِحشَة، الناس مخيفة، وبابا مش أمان ليّا زي ما كانوا بيعلمونا، أنا اسمي شهد، أنا دكتورة زي آدم حبيبي.

فقدَت سُها الوعي وانهارت، ولكنني أعلم حجم معاناتها، خرجتُ من غرفتها ولم أستطع أن أمشي خطوة واحدة كأنني أسمح لنفسي الآن أن تنهار، جلستُ على الأرض وبكيت كأنني لم أبكِ مُنذ ولادتي، بكيتُ وأنا لا يُهمني إن كان أحد يسمعني أو لا.. لا أعلم ما الذي حدث، ولكنني شعرتُ بالسوء من الداخل، وشعرتُ أنني لم أستطع أن أتحرك لخطوة أخرى.

أتت أميرة مسرعة على صوت بكائي لتجدني على الأرض..

- شهد!

اقتربتُ منها وعانقتها وبكيت إلى أن ارتاحت روحي، وهي كل ما كانت تفعله أنها تقول لي:

- كل شيء سيكون على ما يرام.

أحيانًا نشعر فجأة أننا نريد أن نترك كل ما نفعله ونبكي، ولا يهم المكان أو الزمان؛ لأن وجع الروح ليس له وقت للتعبير؛ فالروح عندما تشعر بالثِّقَل تجبرك على أن تفعل شيئًا لتريحها.

تامر عبد الله "عدم الرضى بالنفس". جلد الذات

"Count Your Blessings Instead Of Count People Blessings To Be Happy"

عليك أن ترى النعمة الموجودة بحياتك بدلًا من مراقبتك للنِّعَم الموجودة بحياة الآخرين لتكون سعيدًا.

"الفرحان فرحان حتى لو بأقل حاجة، والحزين حزين لو امتلك الدنيا كلها"

"كلنا عيوب لولا ستر الله"

" عمر الغلط ما هيبقى صح لو الناس كلها عملته"

أعتقد أنني لخصتُ هذا الفصل في تلك السطور، الشخص الذي لا يرى النعم الموجودة في حياته سيكره حياته، وسيعيش عمره بالكامل ينظر إلى النعم الموجودة في حياة الناس، وأعتقد أن هذا أسوء شيء في الوجود؛ لأن هذا الشخص ينسى حياته وما عنده، ويظل يبحث عن ما ليس موجود في حياته لمجرد أنه لا يمتلك هذه الأشياء وهي موجودة في حياة شخص آخر.

لديّ صديقة في نفس عمري وفي نفس الجامعة، ولكننا مختلفتان تمامًا، صديقتي أفضل مني في كل شيء... في قلبها ودراستها ومجهودها، وفي كل شيء، ولكن لم أرها ولو لمرة واحدة راضية عن حياتها أو شخصيتها، أو حتى نتائج امتحانها، فلطالما كانت تقارن نفسها بالآخرين، وفي كل شيء، ولطالما أنا كنت سعيدة بما لديّ، رغم أنه كان بالنسبة إلى ما عندها شيء لا يُذكر، ولكن كنت دائمًا أقول لها أنها جميلة ومتفوقة، ولديها شخصية رائعة، إلى أن انتهى بها الحال خاسرة لكل شيء كان لديها.

عدم الرضا بالنفس وجلد النفس يجعلان الإنسان حزينًا ومشتتًا، ويجعله مثل الشياطين يتذمّر على كل شيء وفاقد لسلامه الداخلي؛ لأنه يقارن نفسه بكل الأشخاص الموجودين حوله إن لم يكن حاقدًا عليهم، وحتى أنهما يجعلان الإنسان في حالة لوم؛ فدائمًا تجد تلك الأشخاص يلومون أنفسهم والناس والله على كل شيء يحدث في حياتهم! رغم أنهم إذا فكروا لبعض الوقت سيجدون أن كل شيء يحدث في حياتهم هم السبب به.

"لو فضِلْت باصِص في حياة الناس على اللي مش عندك هتخسر كل اللي عندك، وبرضه مش هتاخد اللي عندهم"

جميعنا سيئون لولا ستر الله، جميعنا نفعل نفس الشيء، ولكن هناك فرقٌ وحيد، وهو أن يوجد شخص كُشِفَ ستره، وشخص مازال لم يُكشف ستره، ولذلك لا تدينُوا الآخرين لِئَلّا يكشفَ الله ستركم وتكونوا في أماكنهم.

مستحيل أن يكون الخطأ صح، حتى إن أجمعت الشعوب على هذا، هل يصبح الخشب حديدًا مهما فعلت؟!

هل تصبح النيران غير حارقة؟!

لذلك اعلم دائمًا أن الصح صح والخطأ خطأ حتى إن فعله الجميع، الآن مع تطور السوشيال ميديا والعلم أصبحت معظم الأشياء الحرام حلال لدى الناس، ولكنها لم تصبح حلالًا عند الله، وحتى إن فعلها الجميع.

*****

– مش عايزة أقوم من حضنك.

– هههه أنا عارف، بس لازم تروحي الشغل.

وضعت يدي على وجهه:

– آدم، أنا مش عايزة حاجة من الدنيا غيرك، ولو حتى خسرت كل حاجة هبقى شايفَة إنك مكسبي الوحيد، أقولّك حاجة؟ انت حتى لو

ماتْجوِّزتِنِيش أنا هفضل بحبك وبحترمك؛ لأنك أول شخص أحس معاه بالأمان، وأول شخص حضنُه بالنسبة لي دنيا.

- بحب قوي أسمعِك وانتي بتتكلّمي عن حبك ليّا، بشوف في عنيكي حب ولمعة كده زي بتاعة النجوم اللي بنشوفها في السما.

- أنا كده مش هنزل من البيت.

- هههههه لا.. يلّا قومي.

- للأسف مضطرة أقوم.

تركتُ سريره بعد مناهدة وذهبت إلى المصحة لأجدها مزدحمة على غير العادة.

- أميرة صباح الخير.. هي إيه الزحمة دي؟

- أصل النهاردة فيه ناس جايّة زيارة.

- لمين؟!

- تامر عبد الباقي.

- أنا كده كنت هدخلّه النهاردة.

- طب عمومًا همّا قرّبوا يمشوا وتقدري تدخلي.

- ماشي.

انتظرتُ في الاستراحة حتى وقت انتهاء الزيارة، وغمرتني مشاعر الاشتياق والحنين إلى أهلي، ولكنني سرعان ما تذكرتُ ما جئتُ لأجله، ولكن قلبي كان يَتفَتّت من اشتياقي لأمي؛ فأنا أشتاق إليها وأشتاق إلى رائحتها وصوتها وكل شيء، و...

– دكتوره شهد، تقدري تتفضلي.

– تمام.

أخذتُ المفاتيح ودخلتُ إلى غرفة تامر لأجده جالسًا على السرير وعلى وجهه نظرة حزن تجعلكَ ترى سواد الدنيا.

اقتربتُ منه وجدتُه يتمتم بكلام لا أفهمه، ومد لي يده حتي أعطيه الدواء وكأنه معتاد على الأمر.

بعد ربع ساعه تقريبًا..

– أنا ضيعت كل حاجة كانت عندي عشان ماركّزتِش فيها، ودايمًا ماكُنتِش بهتم باللي عندي، عشان شايف إنها ولا حاجة بالنسبة للحاجات اللي عند الناس، وبعد ما ضاعت اكتشفْت إن أنا أصلًا ما كنتش محتاج أكتر من الموجود عندي بس، بس أنا كنت طماع.. كنت بفضَل ألوم نفسي وألوم ربنا رغم إني لما ركزت شويّة في حياتي لقيت إن محدش لُه ذنب في حاجة حصلت في حياتي، سواء وحْشَة أو حلوة، غيري أنا بس؛

لأني ماكنتِش بركّز على أي حاجة ربنا عطهالي، وكنت دايمًا بقارن نفسي بالناس وبقارن اللي عندي باللي عند الناس، وعلى فكرة.. أنا أكتر واحد اتأكّد إن لما بنركّز في حياتنا وعلى نفسنا ممكن تبقى نجوم السماء في إيدينا.. (يبكي) أنا بس كان نفسي أفوق بدري شوية قبل ما أخسر كل اللي عندي، وحتى الناس خسرتها، محدّش استحملني، أصل همّا صح.. مين ممكن يستحمل شخص بيلوّن نفسه واللي حواليه وربنا؟! ومش راضي عن نفسه ولا عن اللي في حياته، ودايمًا بيقارن نفسه للناس، بس أقولّك حاجة؟

- قول.

- أنا أهلي همّا السبب في كل اللي أنا فيه و..

- لسّه برضه بتلوم؟!

- أنا فوقت، بس أقولّك حاجة؟ والله همّا السبب، عارفة يعني إيه تكوني طفلة وأهلك كل شويّة يقولولك بصّ فلان بيعمل إيه، انت بتعمل إيه؟! بص ده جاب كام وانت كام، بص ده أشطر منك، ده جاب درجة أحسن، ده مش شقي ووحِش زيك، ده بُص بيعمل إيه؟! كانوا مستنّيين مني أطلع ازّاي؟! أنا هنا بسببهم، وبكرههُم كلهم؛ لأن همّا اللي

خلوني كده، مش بلوم بس همّا اللي علّموني ما أبقَاش راضي باللي معايا وأفضل باصص الناس عندها إيه.

خرجت من غرفته وأنا مليئة بالطاقة السلبية، وأشعر أنني مُتعبة وأريد أن أذهب للبيت، أخذت حقيبتي وخرجت من المصحة لأجد آدم ينتظر بسيارته أمام المصحة، رفعتُ رأسي للسماء حتى أشكر الله أنه دائمًا يُرسِل لي آدم في الأوقات التي يعلم بها أن طاقتي مستنزفة، وأشعر بالحزن بداخلي.

ذهبتُ راكضة إليه..

– آدم!

– حسِّيت إنك عايزاني فقولت آجِيلِك.

– عمري ما كنت بشكر ربنا قَدّ دلوقتي إنه دايمًا بيعوّض أي مشاعر جوايا بيك.

أخذني وذهبنا لتناول الغداء في ماكدونالدز؛ فهو يعلم أنني أحب هذا المكان، وفي وسط تناولنا للطعام...

- انت عارف يا آدم؟ أنا عمري ما شوفتك وحِش ولا هشوفك وحِشْ أبدًا، حتى لو بِعِدْنا، وهتفضل في نظري أحسن راجل أنا شُفْتُه حتى لو حبيت بعدَك.

ابتسم تلك الابتسامة التي تخطف قلبي..

- بحبك.

- أنا زيّك دكتورة، أنا بعالج المرضى، هههههههه آدم بتحبني، مش كده؟

المصحة - اليوم التاسع

مريم سامح "علاقات سامّة"

سن المرهقة والعلاقات السامّة شيئان لا يتجزآن.

"في الوقت اللي المفروض نكوّن شخصيتنا ونكوّن عقلنا ونتعلم حاجات جديدة بندخّل ناس غلط في حياتنا تدمّرهالنا وتمشي، ومش بس بتدمر روحنا وعلاقاتنا، هي كمان بتدمّر شخصيتنا اللي بتطلع مهزوزة وخايفة من الناس كلها بسبب الناس الغلط اللي دخّلناهم في حياتنا.

وعشان كده أنا نصيحتي لأي حد إنه لازم يختار الناس اللي يقرّبها من حياته؛ لأنه لو أساء الاختيار في دي بالذات على الدنيا والشخصية والروح والعلاقات اللي بعد كده السلام.

العلاقات السامّة بتطفِي روحنا وبتسِمّ شخصيتنا، ويمكن هي أول حاجة بتعرّضنا للخذلان وبتعطّش روحنا للاهتمام اللي ممكن يجِي من ناس غلط ونقبله لمجرد إن احنا لقيناه، ده غير طبعًا المشاعر المهدورة، الحقيقة إن الحاجات دي بتأثر فينا على مدى سنين طويلة، واللي على ما نفوق منها يمكن تكون ضاعت أحلى سنين عمرنا، ونكون ضيّعْنا الناس والفرص الحلوة، عشان كده لو لقِيت نفسك في علاقة مش مرتاح فيها

وحاسس إن مشاعرك مضطربة والعلاقة بتأثّر عليك بشكل سيء اهرب، اهرَب وأنا عارفة إنه قرار مش صح، بس والله هتتعَب شويّة وهترتاح بعدين، بدل ما تضرّ نفسك وساعتها هتتفتِح دايرة مابتخلصش، انت هتنضَرّ من حد فهيجِي حد كويس فهتضرّه بسبب إنك مضرور، والشخص ده هيضُرّ غيره ومش هنخلص، هتبقى عامل زي الوباء اللي انتشر بين الناس، بس الفرق بينك وبين الوباء إنك هتموّت أرواح مش أجساد.

افتكر إنك مش فاضي تصلّح غلطات نفسك لما هتصلّح غلطات الغير"

*****

استيقظتُ اليوم وأنا في كامل حيويتي، وحتى أنني نمتُ بالأمس وأنا أحلم بآدم وما حدث بالأمس، ولكن قاطع أحلامي وأفكاري أنني عليّ أن أذهب إلى المصحة، ولكنني تمنيتُ أن يكون اليوم أجازة؛ حتى لا يحدث شيءٌ يُعكّر مزاجي، ولكنه كالعادة تمنِّي فقط.

ذهبتُ إلى المصحة، ومن دخولي من الباب رأيتُ دكتور حمزة وكأنه ينتظرني.

- صباح الخير يا دكتور حمزة.

- صباح النور.

- فيه حاجة ولا إيه؟

- أنا مستنّيكي أقولّك تدخلي لمريم سامح، أصل يهمّني إنها تتكلّم.

- تمام حاضر.

- بس خلّي بالك.. مريم مريضة كونسلتو، يعني ممكن تلاقيها أعنف من العادي.

- ماتقلقش.

أخذت المفاتيح ودخلتُ إلى غرفة مريم؛ لأجدها مستلقية على الأريكة وماسكة بيديها دُمية قديمة، وتتمتم بكلامٍ لم أسمعه إلا عندما اقتربتُ منها، كانت تقول "الكاميرات.. الكاميرات"، وظلّت تردد هذه الكلمة كثيرًا وأنا لا أعلم لِمَ تقول هذا؟! ولكن أعتقد أنه جزء من قصتها.

- مريم!

تنظر لي..

- الكاميرات!

- كاميرات إيه؟! فهميني.

تنظر إلى دميتها وتُحدّثها:

- الكاميرات!

علمتُ أنها لن تتحدّث، وأعطيتها الحقنة وانتظرتُ بضع دقائق حتى...

- الكاميرات.. الأوضة هههههههههههه.

- كاميرات إيه؟

- أنا قولت كاميرا؟! بقول الشخصيات.. على فكرة أنا هنا مش بسببي، أنا مالي؟! هو أنا اللي قولت لأهلي مايهتمّوش بيا ويخلّوني أحتاج لناس تانية؟ عارفة؟! أنا كان طول عمري نفسي يقرّبوا مني ويحضنُوني ويبقوا جمبي، ويوم ما أعمل حاجة حلوة يشجعوني، همّا السبب إن مع أول ناس لقيت معاهم اهتمام بسيط روحتلهم، أصل أنا كنت صغيّرة وقتها.. كان عندي 15 سنة، همّا كلهم كانوا بيحبوني.. هههههههه أنا كدابة! همّا كانوا بيحبوا هزاري وفلوسي وجدعنتي، أنا عمر ما حد فيهم حبّني، كنت أوقات كتير بتعب ومش بروح لا مدرسة ولا دروس، وماكانش حد بيسأل عنّي، أنا كنت بتضايق قوي، أقولّك حاجة؟ (تبكي) مرة كنا متفقين نخرج، وجُم بنتين قالوا احنا مش عايزين مريم في الخروجة ومش بنحبها، وفعلًا سابوني وخرجوا همّا رغم إن أنا اللي مفروض صاحبتهم.. (تنظر إلى دُميتها) لحد ما اتعرفت على ده، ده أحلى حد في الدنيا، وهو الوحيد اللي حبّنِي بس معرفش ليه؟ بعد ما قالي

أروحله وهو وصاحبوا كانوا موجودين في الشقة وعمل اللي عمَلُه بطّل يكلمني، بس أنا عارفة إنه لسّه بيحبني هههههه... آآه أنا خايفة قوي، خايفة من عينهم وهمّا بيعملوا فيّا الحاجات الوِحْشة دي، أنا كنت بحاول أهرب بس معرفتش.. أنا خايفة قوي، أنا مش عايزة أعيش، أنا بكره نفسي وحياتي (تنظر إلى الدمية وتعنّفها) وبكرَه ده كمان، بَكرَه شكله وبكْرَه إنه بوّظلي حياتي، ومابحبش إلا آدم.

أعطيتها حقنة مهدئة وتركتها تنام، وخرجت من الـ...

- دكتور حمزة عايزِك في مكتبه.

بفزع:

- أميرة! خضتيني.

- معلش.. هو قالّي اقفي هنا وأول ما تطلع هاتيها على المكتب.

ذهبتُ إلى حمزة، ثم طرقتُ الباب ودخلت لأجده جالسًا على المكتب وينظر إلى اللاب توب الخاص به، ويبدو أنه مستاء من شيء.

- دكتور حمزه حضرتك عايزني؟

أدار لي اللاب توب.

- اتفرجي.

نظرتُ إلى اللاب توب وشعرتُ أن جسدي سينفجر من شدة الارتباك؛ فوجدتُ نفسي وأنا أعطي الحقنة لمريم.

- إيه ده؟!

- دا دا دي حقنة.

- آه ما أنا شايف.. حقنة إيه؟

لم أستطع أن أجاوب على هذا السؤال، ونظرتُ إلى الأرض خجلًا.

- انتي أنانية يا شهد وفرحتي إن احنا عظّمْنا فيكي بسبب إنك أول حد يخلّي المرضى يتكلموا، ونسيتي إن ده مخالف للقوانين، وإن كان لازم نعرف إيه الدوا ده وبيعمل إيه! مافكّرتيش للحظة إن ممكن يكون ليها أعراض جانبية وإنك ممكن تفقدي المريض؟!

- مالهاش أي أعراض، وأنا مجربة ده كويس.

- شهد! ماتستّفزنيش! أنا مش عاوز أحوّلِك للتحقيق، بس أقسم بالله لو حاجة حصلت لأي مريض لأودّيكي في داهية، اتفضلي يلّا وماتجيش تاني إلا لما أكلّمك.

خرجتُ من الغرفة وأنا منهارة من البكاء، شعرت أنه على حق، وأنني لم أفكر غير بنفسي وبشهرتي، وأعلم أن ما فعلته هو خطأ كبير، ولكنني لم أرد أن يحدث كل هذا.

المصحة - اليوم العاشر

يوسف شريف "اضطرابات ما بعد الصدمة"

ما يحدث بعد أية صدمة في حياة الإنسان هي حالة غريبة من التوهان والهروب وخوف وقلق وتوتر، وحتى إن الشخص يُمكن أن يُصاب بانفصام في الشخصية، ويظل في حالة إنكار للذات وللنفس وإنكار لما حدث.

يصبح مريضُ ما بعد الصدمة في حالة إنكار لنفسه وما حدث، حتى إن عقله ينكر كل شيء حدث؛ لأنه لم يتحمل ما حدث.

يشعر الإنسان بعد أية صدمات بشعور اللا شيء.

****

لم أجد أحدًا في المستشفى؛ فأنا جئت قبل موعدي بكثير حتى لا يلاحظ أحد وجودي؛ فأنا أريد أن أتحدث إلى هذا المريض ولا يُهمني ماذا سيحدث إذا اكتشفَ أحدٌ وجودي.

ذهبت إلى مكتب أميرة؛ لأخذَ المفاتيح، ثم دخلتُ إلى غرفة يوسف، ولكنني لم أجده، دخلتُ للمرحاض حتى أتفقده ولم أجده؛ فخرجتُ أبحث عنه في الغرفة، ولكنني لم أجده، ولكن شعرت بصوت أنفاس

قريبة مني، فاقتربت من السرير ونظرتُ أسفله؛ فوجدتُه نائمًا على الأرض ويبكي ويحتضن مخدته المكسية ببلوفر من الصوف، يبدو أنها لشخص قريب منه أو لا أعلم.

طلبتُ منه أن يخرج، ولكنه لم يستجِب لي؛ فأخذت منه المخدة؛ فخرج من أسفل السرير وجلس على الأرض وهو في حالة توتر، وحاولتُ أن أطمئنَه وأجعله يهدأ ويتحدث إليّ؛ فقُلت له:

- يوسف، أنا هنا عشان أساعدك.

- تساعديني! أنا محدش هيعرف يساعدني، هتعرفي ترجّعي اللي راح؟

- طب اتكلّم معايا وأنا هحاول أعمل كل حاجة أقدر عليها.

- للأسف.. مفيش حاجة هترجَّعْهَالي، وحتى لو ندمت على ندمِي عمر بحاله، هي ماتت وارتاحت، وأنا من ساعة ما عرِفْت إنها ماتت وأنا ماكُنتِش جنبها، وبسببهم وأنا روحي بتموت كل يوم ألف مرة، أو لا لا... أمي ماماتِتش أنا عارف إنها عايشة، أنا متأكد من ده.

بعد دقيقه من الصمت، يبكي بحرقة..

- خليها ترجع وأنا هنتقِم لها من اللي كان السبب، أنا عارف إنها مستحمل...

*****

- شهد!.. شهد فوقي ماتخافيش احنا جمبك ومش هيحصل اللي حصل قبل كده.. مش هترجعي أبدًا ليهم، وآخر حاجة قالتها والدتك إنّك كنتِي أحسن حد في حياتها، وإنها بتحبك، وعارفة إنك قوية ودايمًا بتقعي وتقومي، دي حتى قالت إنك طالعالها، وإنها كانت كده دايمًا بتعافر عشان تكمّل، وعمرها ما استسلمت رغم كل حاجة مرت بيها.

أستطيع أن أسمع كل هذا الكلام وأشعر بمن حولي، ولكنني غير قادرة على الاستيقاظ، أشعر أنني في غرفة مظلمة، وأبحث عن الباب في كل ركن من أركان الغرفة ولكن لا أجده، أشعر بوجود رائحة شخص قلبي يعرفه ويُحبّه، ولكنني لا أتذكر من هذا الشخص! ولكن قلبي يُقاوم حتى يرى مَن هذا الشخـ...

- ها فاقت؟

- لا، بس حالتها مستقرة.

- مش مسامح نفسي إني خلّيتها زي فار لتجارب ليّا، أنا كنت أناني قوي.

- فيه إيه يا آدم؟! ما كده كده كانت كارهَة حياتها ونفسها، وبعدين يا عم فُكّ كده، هو انت ماسمِعْتش اللي حكته ولا إيه؟ وبعدين افتكر إنك عالجتها.

- مش عارف أفتكر غير إني شخص أناني واستغليتها واستغليت ضعفها عشان أحقق نجاحي.. (بندم) ياريتني ما كُنت عملت كده.

لا أعلم ما الذي يتحدثون عنه، ولكنني أشعر أنني أعرف هذه الأصوات، ولكن من هم؟! ومن شهد التي يتحدثون عنها؟! أتذكر شيئًا واحدًا، وهو أنني هربت من المنزل و... لحظه! أنا أتذكر... إنه آدم! أشعر برائحته؛ فلطالما كنتُ أرغب بأن أعانقه، وكنت أعرف أنه جاء إليّ من قبل أن يدخل من رائحته.

آدم!

آدم، انت سامعني؟!

آدم انت فين؟ خرّجني من هنا.

آداااااام!

آدم، انت ليه مش بترد عليّا؟!

أبكي..

آدم رد عليّا، آدم أنا خايفة!

أبحث عن الباب حتى أجد آدم، ولكنني لا أتذكر أي شيء، ولا أعلم من أنا؟! وما اسمي؟! وماذا حدث؟! ولكنني أرغب بأن أجد آدم وأعانقه.

(المصحة اليوم الأخير)

لا أعلم أين أنا؟ ولا أعلم حتى ما اسمي؟ ولا أعلم إن كنتُ حقيقيّةً أم لا؟ هل ما زلتُ حيّة أم أنني ميّتة أم أنه حلم ليس أكثر؟ لماذا لا أستطيع الاستيقاظ؟ لماذا لا أتذكر أيّ شيءٍ؟ لماذا لا زلتُ أبحث عن الباب ولكنني لا أجده؟ أشعر أنني مضطربةٌ وخائفةٌ، وأنني لا أحد! أجري في تلك الغرفة بحثًا عن الباب ولكنني لا أجده، كل ما أجده هو أسماء ناسٍ مُعلقةٍ على الحائط، ورغم ظُلمة الغرفة إلّا أنني أستطيع أن أراهم، أستطيع أن أرى (أحمد عبد الجليل، وحور محمد، ومنى أشرف، وسُها عبد القادر، وتامر عبد الباقي، ويوسف شرف) من هؤلاء الناس؟! وأين أنا؟ ولماذا وضعوني في غرفةٍ مظلمةٍ لا يوجد بها سوى تلك الأسماء؟ يا الله أنا لا أتذكر غير (آدم)، آه آه وأهلي، أنا أتذكرهم وأتذكر أنني هربتُ من المنزل بسببهم، ولكن لا أتذكر ما الذي فعلوه، لكنني أشعر بألمٍ في قلبي كلّما ذكرتُ اسمهم واسم الأشخاص الذين وجدتُّ أسماءَهم هنا معي، هل هم أصدقائي؟

أشعر أنني مقيّدةٌ في تلك الغرفة السوداء، ولكنني أبحث عن المخرج في كلّ وقتٍ ولا ينجح بحثي في النهاية؛ فأنا لم أجد الباب، ولكن أستطيع سماعهم من الخارج والشعور بوجودهم، حتى أنني أتحدث إليهم، ولكن يبدو ألّا أحد يسمعني، دائمًا أشعر بوجود رائحة آدم في جسدي من الداخل، وأشعر أنه بداخلي وحولي.

كلّ يومٍ أنام في تلك الغرفة على أمل أنني سوف أخرج منها بالغد، ولكن لا يحدث أي شيءٍ.

- دكتور آدم! انت لسّه ماروّحتش؟
- أنا مش هسيب سريرها قبل ما تفوق.
- حرام عليك اللي بتعمله في نفسك ده، انت لازم ترتاح.
- مفيش راحة في بُعدها، لما تفوق من الغيبوبة اللي أنا كنت سبب فيها هبقى أرتاح، شهد حبتني.
- لا حول ولا قوة إلا بالله، مش عارفة أقولك إيه.
- ماتقوليش، هاتيلي هدوم وطبَق ميّاه عشان أغيرلها.
- مسم!

والآن أعلم مكاني؛ فأنا في المستشفى، ويبدو أنني في غيبوبة والسبب في ذلك هو آدم! كيف يكون آدم السبب؟!

أحاول أن أتذكر ولكن لا أستطيع؛ ففجأة أجد عقلي يُرجِع مشاهد، ولكنها غير واضحةٍ وكأنها مشاهد تليفزيونية تدور في بالي، وفجأة يُقطع الإرسال، لا أعلم أين أنا؟ ولكن أعلم أن جسدي في المستشفى وروحي في ذلك المكان المظلم، وأعلم أنني سأقاوم حتى أخرج من تلك الغرفة، ولكنني أريد أن أتذكر، أستطيع أن أسمع صوت (آدم) وأستطيع أن أُميّز رائحته؛ فهو الآن يتحدث مع أميرة ويقول لها:

- فيه أي جديد؟
- لا، وبعدين حضرتك مشيت نص ساعة بس، يعني أكيد مش هيحصل حاجة.
- طيب سيبيني معاها يا أميرة واخرجي.

شعرتُ بقربه مني وأنا أعلم أنني أحبه و...

- شهد! أنا عارف إنك سمعاني دلوقتي، أنا آسف والله العظيم آسف، لو أعرف إن كل ده هيحصلك ماكُنتش عملت كده، أنا مش عارف انتِي هاتسامحيني ولا لا، بس أنا بتمنّى تقومي تاني حتى لو هتكرهيني وتحبسيني أنا موافق بس قومي، شهد أنا استغليتك وقلت أجرب الدوا عليكِ، وخاصّةً إنه جاب نتيجة معاكِي وخلاكِي تتكلمي، حتى لو كنتِي بتتقمّصي شخصيات مش شخصياتك بس أنا قدِرْت أخليكِي تتكلمي، أنا بقولّك

الكلام ده عشان عارف إنك سامعاني وعارف إن يمكن ده يكون دافع ليكِي، فاكرة لما كنتِي بتقولي إنك حضنتيني في الجلسات؟ انتِي كنتِي بتقولي الحاجات اللي نفسك تحصل زي بالضبط إنك عملتي نفسك دكتورة وشغالة في مصحّة وبتعالجي الناس، أنا عارف إنك كان نفسك تبقي دكتورة، بس أوعدك لو فوقتي وقدرتي تقاومي هساعدك تحققي كل اللي بتتمنيه، شهد أنا عايزك تدوّري على أسماء ناس انتِي كنتِي متقمّصة شخصياتهم ولاقياهم وحاولي تفتكري، أنا عارف إنك هتفوقي...

أشعر أنني في حالة صدمة، ولكنني أريد أن أخرج من هذه الغرفة، ولكن كيف؟!

- شهد، دوري على أسماء الناس اللي انتِي اتقمّصتي شخصياتهم هترجعي.

تردّدَت هذه الجملة في أذني أكثر من عشر مرات، ثم تذكرتُ الأسماء المعلقة على الحائط؛ فسرعان ما فُزعتُ ونهضتُّ لأتفقد الأسماء؛ فوجدتهم مرصوصين على الحائط بترتيب الأسماء التي أتذكّرها دائمًا، وقفتُ أمام كلّ اسمٍ لأجد تحت كلّ منهم الكلمات الآتية بترتيب كلّ اسم كان يأتي في بالي:

"خذلان"

"هو أنا وحشة؟"

"الشعور بالفشل"

"صندوق الذكريات الأسود"

"شهد"

"مقاييس الجمال"

"التحرش من الأهل"

"عدم الرضا عن النفس"

"علاقات سامّة"

"اضطرابات ما بعد الصدمة"

أعتقد أن كلّ هذا بداخلي، وأن (آدم) استطاع أن يُخرج ما بداخلي بالدواء الذي اخترعه، وأن هذا الدواء كان يجعلني أُخرج ما بداخلي ولكن على هيئة أسماء أشخاصٍ أُخر، وحتى أنني أحب (آدم) بالفعل ولكن لم أعانقه قطّ، وهذا فقط ما كنتُ أتمناه، ونفس الشيء حدث مع تخيّلاتي، وهو أنني أصبحتُ طبيبة، هذا يعني أنني المريضة وكلّ هذا كان تخيّلات، وأن (أميرة) ممرضة المصحّة التي كنتُ مريضةً به، و(حمزة) طبيبٌ مثل (آدم)، وأن هؤلاء الأشخاص المُعلّقين على الحائط هم أنا! يا الله أشعر أنني في دوامـ...

- الحقي يا أميرة.. شهد بتحرك إيديها.

جاءت مسرعةً:

- الحمد لله، الحمد لله.

فتحتُ عينيّ لأجد آدم ممسكًا بيدي ودموعه تتساقط عليها ويُتمتم:

- الحمد لله، الحمد لله.

- آدم، أنا كنت سامعة كل حاجة.

جذبتُه نحوي بشدةٍ:

- عارف؟ ريحتك دي اللي خلتني أرجع، كنت طول الوقت شمّاها وحاسة بيك، ده أنا حتى سمعت اللي عملته معايا بس مش مهم، مش مهم، أنا بحبك ومسامحاك.

لم أجد منه أيّ ردٍّ عليّ.

- والله يا شهد دكتور آدم ما ساب سريرك.

بلهفةٍ:

- أميرة!

"أيوة أميرة يا شهد، ده انتِي نشّفتي دمّنا، بس الحمد لله ربنا كريم، ومش بس فوقتي، ده انتِي خفيتي من كل اللي عندك.

- آدم، انت ليه مش بترد عليا؟!

ترك (آدم) يدي وخرج مسرعًا من الغرفة دون أن ينطق حرفًا، أنظر لأميرة وبعدها على الباب أنتظره ليعود؛ فهو قال لي أنه لن يتركني بعد أن أفوق.

التّعافي
"بعد أربعة عشر يومًا"

ها أنا الآن ما زلتُ في المستشفى، ولكنني تعافيتُ وسمعتُ كلّ تسجيلاتي وأقوم بالكتابة الآن، ولكنني لم أتعافَ من حبّي (لآدم) الذي يحاول أن يقنعني الجميع هنا أنه لا يوجد أحدٌ يُسمى (آدم)، ولكنني أستطيع أن أصدق قلبي فقط؛ فأنا أعلم أن (آدم) حقيقيّ، وأشعر أنه دائمًا معي، حتى أنني أشمّ رائحته في كلّ مكان.

*****

إلى عزيزي آدم:

14/9/2017

اليوم هو موعد خروجي من هذا المكان الذي لطالما كنتُ أكرهه، ولكنني أحبّ وجودي به؛ لأنني أراك حتى إن كنتَ خياليًّا أو حقيقيًّا، وحتى إن أجمع العالم بأكمله أنك غير موجود وأنك من صُنع خيالي الذي يحاول أن يجد شخصًا يحبه، أنا أعلم أنك موجودٌ بجانبي، وأعلم أنني سأراك مجددًا؛ فإن لم يكن اليوم سيكون غدًا، وإن لم يكن غدًا سيكون في وقتٍ أنا لا أعلمه، ولكن كل ما أعلمه أنني سأراك مجددًا، آدم.. إنني أكتب لك هذا الجواب لأنني أعلم أنك ستعود بعد أن أرحل من هذه المصحّة، وأعلم أنك ستقرأ كل ما كتبتُه لك، أشتاق إلى حِضنك الذي طالما أردتُّ أن أكون به، ولكن كان في خيالي فقط، أشتاق إلى رائحتك التي لم تزُل من رئتيّ أبدًا، أشتاق إلى صوتك الذي يُشعرني بالأمان، آمل فقط أن أراك مجددًا، أراك وأنا في كامل قوايَ العقلية وألمس يديك وأعانقك، وهذه المرة أقسم أنني لن أدعكَ ترحل عني إلّا إن تركتني ميّتة؛ فأنا يا عزيزي مُتيّمة بحبك الساكن في جسدي، والذي لم أُرِد طرده

خارج جسدي لأنني أحبك، سوف تجدني في المكان الذي لطالما تخيلتُ نفسي معك به، أنتظرك...

قاطعني حمزة:

- جاهزة يا شهد؟
- آه جاهزة.
- مش باين يعني!
- لا بالعكس أنا فرحانة، بس كان نفسي أشكر آدم بنفسي.
- برضه آدم تاني؟!
- صدقني يا دكتور لو فضلت تقنعني من هنا لحد ما أموت إن مفيش حد اسمه آدم مش هصدقك، أنا عارفة إن آدم موجود بس معرفش راح فين من يوم ما فوقت ومشي، ولحد دلوقتي وأنا طول الوقت ببص على الباب يمكن يرجع.

ببرود:

- طب يلا.. يلا عشان أعرفك هتعملي إيه لما تخرجي من هنا.
- تمام، هجيب حاجتي وآجي، دكتور حمزة ممكن تدي ده لآدم لما يجي.
- أ...

قاطعتُه:

- معلش خُدني على قد عقلي وخده مني.

أخذ مني الجواب وخرجنا من الغرفة، وودّعت أميرة وأتى هو ليوصلني إلى الخارج، وأعطاني أوراقَ قبول التحاقي بجامعة الطبّ التي طالما حلمتُ بها، وودّعني.

*****

(بعد ثلاثة أشهر)

بدأتُ حياتي الجديدة، وها أنا الآن في جامعة الطبّ أُكمل دراستي، وأصبح لديّ العديد من الأصدقاء، ودائمًا كنتُ أحاول نسيان الماضي بكلّ شيءٍ، لكن سرعان ما كان قلبي يُذكّرني بآدم الغير موجود، ومنذ خروجي من المصحّة إلى الآن وأنا أبحث عن آدم في المطاعم والمكتبات والشوارع والسيارات ووجوه الناس ولكن لا أجده، ثم يردّ عقلي على قلبي ويقول أيمكن أن يكون آدم حقًّا من خيالي كما كان يقول لي حمزة؟! ولكن إن كان آدم من خيالي فرائحة من التي أتذكرها؟ وما كانت تلك الدموع التي كانت تتساقط كالسيول على يدي عندما أفقتُ؟َ

أكتب لك كلّ يومٍ جوابًا وأرسله إلى المصحّة حتى يحنّ قلبك لي وتأتي إليّ.

"إلى عزيزي آدم..

لم أكف يومًا عن الكتابة لك منذ أن خرجتُ من هذه المصحّة، أكتب لك بروحي المشتاقة لروحك وجسدك، ولأنني أعلم أنّ الرّوح للروح دائمًا تحنّ، أنتظرك أن تحنّ وتأتي إليّ مسرعًا لأعانقك وننسى ما فات، حتى أنني لم أُعاتبْك على غيابك، لا أعلم ماذا حدث لترحل عني، ولكن إن كنتَ رحلتَ لأنك خائفٌ من المواجهة؛ فأنا الآن أقول لك أنني مللتُ بُعدَك وأريدك وأريد أن أراك، وأقسم لك أنني لن أُعاتبك على الماضي، وما سأفعله هو أنني سأعانقك فقط.

آدم، أنت كالأشياء التي بدأتها ولم أنهها؛ كوقوفي في منتصف كتابٍ وشرب نصف كوبٍ من القهوة، كأفكارٍ رسمتها في ذهني ونسيتها بعد ليلةٍ من البكاء، كغيمة غزل البنات الملون أخذتُها بيدي لآكلها فتراجعت تاركةً إيّاها تصعد للسماء حيث ملاذها الأخير، أنت كآخر دقيقةٍ لتسجيل هدفٍ لم يُحتسب، كمُلوحة دمعي الذي مصّته شفتاي قبل أن يصل لعُنقي المُزيّن بأنفاسك المنقطعة، أنت كنقطةٍ قبل النهاية، آدم! لقد دوّنتُ ما حدث في تلك الجلسات وأريد أن تكون كتابًا، ولكنني لم أبدأ هذه الخطوة إلّا وأنت بجانبي حتى تشارك معي فرحتي كما كنتَ تفعل في الماضي،

وكالعادة أبحث عنك في كل مكانٍ ولكن لا أجدك، إلى أن ملّتْ روحي من انتظارك وشوقي إليك، ولا أعلم إلى متى سأظلّ أكتب لك جواباتٍ دون ردٍّ، توقعتُ أنني لن أمَلّ من عدم ردّك، ولكن مع كلّ جوابٍ أرسله ولا أجد منك ردًّا أشعر بالثِّقَل في قلبي، وفجأة يتحوّل الأمل إلى وجـ....

قاطعني صوت فتاة تبدو صغيرة:

- لو سمحتي ممكن تحطّي حاجتي جنبك.
- بصي.. فيه حد قاعد هنا، بس أنا خلاص هكتب حاجة وهقوم أجيب كتاب وأمشي.
- طيب هستنى.

انتهيتُ من كتابة الجواب وقمتُ حتى أبحث عن كتاب.

- الله! كتاب عن قانون الجذب.

أعشق الكتب؛ ففرحتُ لوجود هذا الكتاب؛ فأنا أبحث عنه من مدة، أخذتُ الكتاب وعدتُّ إلى المكان الذي كنتُ أجلس بـ...

- انتِي كويسة؟
- أنا بس دايخة، هو هو مين كان واقف هنا؟
- فيه راجل وقف هنا شوية وقرأ حاجة ومشي.

- آدم! أنا عارفة إنه آدم، شكله عامل ازاي؟
- طويل كده وعنده عضلات وأسمر شويـ...

قاطعتُها بتركي لكلّ شيءٍ وذهبتُ لأبحث عنه في كلّ مكانٍ؛ فهذه المرة لم أُرِد أن أدعه يرحل، ولكنني لم أجده؛ فتفقّدتُ المكتبة والخارج وكلّ مكانٍ فلم أجده، شعرتُ أنني أفقد الأمل وغير قادرةٍ على البحث مجددًا وأن جميع آمالي في أن أجده انقطعت.

عدتُّ إلى المكتبة لآخذ أشيائي وأعود إلى المنزل، وطوال الطريق كنتُ أفكر في أنه كان بجانبي وأنني أخيرًا تأكدتُّ أن آدم حقيقيّ وأنه ليس من خيالي، ورغم أنني كنتُ واثقة من أنه حقيقيّ، ولكن شعرتُ وقتها شعور انتصارٍ بداخلي، وتأكدتُّ أن القلب والإحساس لا يكذبان.

وصلتُ إلى المنزل كي أُكمل الروتين.

- آنسة شهد، السلام عليكم.
- وعليكم السلام يا عم إبراهيم، فيه حاجة ولا إيه؟
- كنت بس محتاج الإيجار، قلت يعني أقولّك قبل ما تطلعي عشان تجيبيه معاكِي وانتِي نازلة الصبح... وآه صحيح، معلش طلّعيلي الزبالة برة.
- حاضر.

صعدتُّ إلى شقتي ورائحة آدم تحاوطني في كلّ مكانٍ، حتى أنني شعرتُ بها وأنا أُدخل المفتاح في باب الشقة آمِلةً في إيجاده، تركتُ الباب مفتوحًا لأُخرج القمامة خارج الشقة، وجدتُّ أشياءً على رخام المطبخ؛ فأخذتُهم ووضعتهم في القمامــ...

- شهد!

تسمّرتُ مكاني؛ فهذه المرة أعلم أنه هو، ولكن لم ألتفِت؛ فشعرتُ أنني في صدمةٍ، شعرتُ بخطواتٍ تقترب مني وأنا أيضًا غير قادرةٍ على الحركة، ولا أعلم إن كنتُ غير قادرةٍ لأنني لا أريد أن أُخذل هذه المرة أيضًا أم أنه حقًّا (آدم)؟! تقترب الخطوات مني إلى أن شعرتُ بحرارة جسده ويداه تلتف حولي ويهمس في أُذني:

- فاكرة المشهد ده كان امتى.

أغمضتُّ عيني لأتذكر؛ فوجدتُّ هذا المشهد يتكرر مجددًا، وأن هذا ما كنتُ أتمناه في الجلسات.

التفتُّ مسرعةً لأجده أمامي، لم أفعل شيئًا سوى تفقّدي ملامح وجهه بعينيَّ وألمسه لأرى إن كان حقيقيًّا أم لا، وكنتُ في حالة ذهول:

- آدم!

نظر إليّ تلك النظرة التي دائمًا كنتُ أتخيل أنه ينظرها إليّ، فسرعان ما ضممتُه إليّ وأنا أبكي وهو يبكي، ثم أبعدتُه عنّي.

- انت عارف أنا دورت عليك قد إيه؟!
- آسف.
- آسف! أنا كنت بمشي في الشوارع على أمل إني أشوفك، كنت بدوّر عليك في وشوش الناس... أنا اتمنيت تكون ميت لإني هبقى ساعتها عارفة مكانك وإنك فعلًا مش موجود، بس للأسف أنا كنت متأكدة إنك عايش وإني هشوفك، وده اللي كان مخليني أمشي أدور عليك.
- ماكانش فيه حاجة في إيدي أعملها، كان لازم أبعد بعد اللي عملته، بس والله أنا كنت جنبك طول الوقت، وكنت بشوفك وبطّمّن عليكِي، وحتى جواباتك كنت بقرأها كل يوم لحد ما حفظتها، انتِي... انتِي كنتِي وحشاني قوي.

أسرع إليّ وضمّني إليه وأنا لا زلتُ أبكي.

- شهد! شهد! قومي يا بنتي اتأخرنا على المحاضرة.. شهد! شهد!
- يا بنات، شهد مش راضية تفوق..."

وجدتُّ بجانبها هذه المُذكرات التي كانت قد كتبتها بعد خروجها من المستشفى إلى يوم رحيلها عنّا، وكان مع هذه المذكرات جوابٌ منفرد.

"إلى عزيزي آدم..

إلى عزيزتي هند..

أودّ أن أشكركِ يا هند لأنكِ لم تتركيني منذ خروجي من المستشفى، وأن الله عوّضَنِي بكِ بعد الكثير من الألم والمشقّة التي مررتُ بها في حياتي، لطالما كنتُ أحلم أن أحقّق شيئًا يترك أثرًا في نفوس الناس قبل أن أرحل عن هذه الدنيا، ولكن يبدو أنني سأرحل مبكرًا قبل أن أفعل ما أتمناه.

لقد كانت حياتي غير سعيدة.

أمّا أنت يا آدم فإذا جئتَ إلى عزائي فلتعلم أنني كنتُ أحلم بك وبلقائك كلّ يومٍ وكلّ دقيقةٍ، كنتُ أحلم بشكلك وروحك وجسدك وكلّ شيءٍ، لقد حاولوا إقناعي بأنك من خيالي، ولكن أنا أقول لك حتى إن كنتَ من خيالي فأنا مُتيّمةٌ بك، وعشتُ هذه الدنيا وأنا أنتظرك، وأيضًا سأرحل وأنا أنتظرك، كتبتُ كلّ شيءٍ حدث بالمصحّة وقبل المصحّة؛ فلتأخذها أنت لتتذكرني دائمًا، أتمنى ألّا يعيش أحدٌ ما عشتُه، ولكن ستظل جُملي المفضلة هي:

"كل جيل مشوّه نتيجة لأب وأم مشوّهين"

"لو حسيت إنك مش مرتاح مع ناس معينة اهرب وماتعافرش عشان هتطلع خسران"

"توقع أي شيء من أي شخص حتى لا تُخذل"

"مفيش حد وحش كلنا ضحايا"

"إذا شعرتَ بالفشل تذكر أنك هنا لتحاول مرةً أخرى"

"فلتنسى ماضيك قبل أن يُسرق منك حاضرك أيضًا"

"فلتُحصّن مشاعرك ولا تدع كل من هبّ ودبّ يُغيّرك"

"إذا وجدتَّ/تِّ شخصًا يقول لكم أنكم تفتقرون إلى معايير لتصبحوا أجمل، اقتلوه"

"لا تدع/ي الخوف يسيطر عليكم إذا تحرّش بكم أحدهم؛ فلتصرخوا وتُخرجوا ما بداخلكم حتى ينال عقابه وإلّا ستتأذون"

"لا تقارن نفسك بأحدٍ مهما شعرتَ أنك أقل من البقيّة؛ لعلّك تكون مميزًا في شيءٍ لا تعلمه لأنك لا تُركز على حياتك"

"اختاروا من يكون صديقًا ومن يكون زميلًا، كونوا ودودين مع الجميع، لكن أيضًا حكماء"

"اشبعوا من التفاصيل لعلّها تزول"

"كلنا عيوب لولا ستر الله"

"لن يصبح الخطأ صحيحًا حتى وإن فعله الجميع"

النهاية.

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

نشر كل إنتاج إبداعي بجودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، حتى لا ينزف الوعي من ثقوب الذاكرة، بأعمال تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة، والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.